

## الحج - أحكام الاحرام به<sup>(١)</sup> - المحس

فرض حج البيت في دين ابراهيم وأمر بتبليغه فنأدى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ومعه اسماعيل حجة كحجة الاسلام وقد ذكر ابن الأثير في الكامل كيفية حجه فقال . ثم خرج ابراهيم باسما عيل معه الى التروية فنزل به منى . ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة . ثم بات حتى أصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر . ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذي يقف عليه الامام فوقف به على الأراك (٢) فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الاخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قرح حتى اذا أسفر دفع به وبمن معه يريه ويمامه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كيف يرمى الجمار حتى فرغ من الحج . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج

تلك عبارة ابن الأثير ومقتضاها أن الصلوات الخمس شرعت في دين ابراهيم ولم أر غيره نقل ذلك الا أن النووي ذكر في شرح مسلم أن المزدلفة سميت يجمع لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء ومقتضاه أنهم كانوا يصلونهما لأن علة التسمية تسبقها وقد سميت بذلك في الجاهلية . وقد كانت العرب تحج بيت الله الحرام مشاة أو ركباناً ومنهم من كان ينذر حجه لقول أبو طالب

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (٣)

(١) الاحرام بالحج الدخول في اعماله لان الحاج يحرم على نفسه أشياء من الحلق وتقليم الاظفار ومباشرة النساء وقتل الصيد وغير ذلك ويقابله الاحلال (٢) الأراك كسحاب موضع بعرفة قرب نمرة (٣) روى السيوطي في اسباب النزول عن مجاهد قال . كانوا لا يركبون ورخص لهم فيه بقوله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومنهم من كان لا يتكلم في الحج تقرباً لله تعالى روى البخاري في صحيحه بسنده عن قيس بن أبي حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحبس يقال لها زينب فرآها لا تكلم فقال ما لها لا تكلم قالوا حجت مصمتة . قال لها تكلمي فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت وهم ينقسمون بالنسبة لأعمال الحج ثلاثة أقسام .

القسم الاول : من كانوا على دين ابراهيم لم يبدلوا فيه وحج هؤلاء موافق لما كان عليه أسلافهم الى زمن ابراهيم

القسم الثاني من بدلوا دين ابراهيم فأدخلوا عليه تعظيم الاصنام وهؤلاء خلطوا أعمال الحج المشروعة في دين ابراهيم بالتقرب للاوثان من الاهلال بالحج عندها أو التحليل لديها أو غير ذلك

القسم الثالث : من ميزوا أنفسهم عن سواهم فلم يشتركو مع غيرهم في كل أعمال الحج كما فعلت قريش ومن تبعهم في رأيهم وامتازوا بأمور ابتدعوها فسموا حمسا (١) وغيرهم الحلة فقسموا العرب بفعالهم الى حلة وحمس . وبين ابن اسحاق مادعا قريشا لا بتداع التحمس فقال

وقد كانت قريش لا أدري قبل الفيل أو بعده (٢) ابتدعت رأى الحمس رأياً رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمه وولاية البيت وقطان مكة وساكنوها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا . ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا . فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتمكم . وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب

(١) في القاموس الحمس لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم في دينهم أي تشددهم أو لالتجائهم بالحمساء وهي الكعبة لان حجرها ابيض الى السواد (٢) ذهب ابن الاثير الى ان قريشا ابتدعوا رأى الحمس بعد الفيل

أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها . الا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الخمس - والخمس أهل الحرم - ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك »

ومن الخمس أيضا جديلة قيس كما حكاه النووي . وقال أبو عبيدة النحوي أن بني عامر بن صعصعة تبعوا قريشاً في رأى الخمس . وذكروا ابن العربي أن منصور بن عكرمة تزوج حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن علي بن يعمر بن قيس بن عيلان فولدت له هوازن فرض مرضاً شديداً فنذرت سلمى أن يرى لتحمسنه فاما برى حمسته وعليه فهوازن من الخمس أيضا

وروا أن الرجل من أهل الجاهلية اذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد . فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر . وقيل كان الرجل يقلد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء

وعن قتادة في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال جعلها حواجز وأبقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يتعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحتمه (١) ومنعته من الناس وكان اذا نقر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء الشجر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان ذو المجاز وعكاظ متجراً للناس في الجاهلية فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ظناً منهم انها تخل باخلاص العمل حتى نزل قوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم »

(١) أحتمه جعلته حى لا يقرب

ومنهـم قوم استحبوا الحج بلا زاد وقالوا نحن المتوكلون وكانوا يضيفون على الناس (١) حتى نزل قوله تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » وابتدعت الخمس في الحج من باب التزهـد والتأله أشياء حكها ابن العربى من حديث ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال فلم تكن نساء الخمس ينسجن ولا يفزلن الشعر ولا يسلأن السمن (٢) اذا أحرمن . وكان الخمس اذا أحرموا لا ياقطون الاقط ولا يأكلون السمن ولا يسلثونه ولا يمحضون اللبن ولا يأكلون الزبد ولا يلبسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ماداموا محرمين ولا يفزلون الشعر ولا الوبر ولا ينسجونه وانما يستظلون بالأدم . ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ولا يخفرون فيها بدمه ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل المدر يعنى من أهل البيوت والقرى نقب نقباً في ظهر بيته فنه يخرج ولا يدخل من بابه وكانت الخمس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسورت من ظهور البيوت وأدبارها ويمحرمون الدخول من أبوابها حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فاحرم عام الحديبية ودخل بيته من بابه . وكان معه رجل من الانصار فوقف بالباب فقال له ألا تدخل فقال الانصارى أنا أحسن يارسول الله فقال رسول الله وأنا أحسن دينى ودينك سواء فدخل الانصارى مع رسول الله لما رآه دخل بابه . فأنزل الله ( وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ) . وخالف التبريزى في شرح حماسه أبى تمام . فقال ( وكان الرجل اذا أحرم قبل الحج فان كان من اهل المدر اتخذ تقباً في ظهر بيته فنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ ساهاً يصعد فيه وينحدر . وان كان من أهل الوبر دخل من خلف البيت الا أن يكون من الخمس فدخل رسول الله وهو محرم من باب بنى بنيانا واتبعه رجل من أهل الاسلام يقال له قطبة بن عامر أحد بنى سامة ولم يكن من الخمس فدخل

(١) ضفته أضيفه نزلت عليه ضيفاً (٢) سلاء السمن طبخه وعلاجه

معه فأذكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال  
 يارسول الله وأنت محرم فقال له انى أحس فقال الرجل ان كنت أحسباني  
 أحسى رضيت بهديك وسنتك ودينك فنزل وليس البر بأن تأتوا البيوت من  
 ظهورها الآية )

فأنت ترى ان بين عبارتهما اختلافا ظاهرا فقد ذهب ابن العربي الى ان  
 الخمس لا يدخلون البيوت ولا يخرجون منها من أبوابها وناقضه التبريزى فأجازه  
 للحمس كما اختلفا فى سبب نزول الآية فجعل التبريزى النبي منكرا على الرجل  
 متابعتة فى دخول البيت من بابه لانه أحس والرجل ليس بأحس وجعله ابن  
 العربي أمرا له بأن يتابعه فى الدخول . وبالرجوع لتفسير ابن جرير الطبرى ترى  
 الروايات مختلفة هذا الخلاف أيضا . ونحن اذا رجحنا رواية ابن العربي بأن  
 قرىشا أولى بتحريم دخول البيوت من أبوابها لانهم اخترعوا التحمس فى  
 الدين وهو التشدد وفى هذا من التشدد ما فيه وجدنا رواية التبريزى يرجحها  
 أن قرىشا كانت ترى نفسها معزوزة الجانب عند الله لا يحول بينها وبين الرحمات  
 التى تنزل من السماء سقفا ولا غيره حتى سموا أنفسهم آل الله ولا كذلك غيرهم  
 ويناسب هذا انها لا تحرم كغيرها دخول البيوت من أبوابها فى حج ولا عمرة  
 لمكانها من الله ويعززه رواية الزهرى ان ناسا من الانصار اذا أهلوا بالعمرة  
 لم يحل بينهم وبين السماء شىء يتخرجون من ذاك فلا يدخل أحدهم من باب  
 الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء وكانت الخمس لا يزالون  
 ذلك . وحسبنا فى الكلام على أديان العرب ونحلهم ان هذا مذهب قوم من  
 العرب فى حجهم وعمرتهم . وللکلام على الخمس بقية تذكر عند الكلام على  
 الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

قال الجاحظ فى الحيوان : وكانوا فى الاحرام يلبدون شعورهم . والتلبيد  
 أن يأخذ شيئاً من خطمى وآس وسرو وشيئاً من صمغ فيجعله فى أصول  
 شعره وعلى رأسه كى يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويختم فيقمل  
 قال شاعرهم

يارب رب الراقصات عشية      بالقوم بين منى وبين ثبير (١)  
 وحف الرواح تراقصت تمشى      يحملن كل ملبد مأجور (٢)  
 وكانوا في الاحرام يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل . قال عبد الله بن  
 العجلان النهدي

انى وما مار بالفريق وما      فرقر بالجلهتين من شرب (٣)  
 من شعر كالليل ينبذ بالقم      ل وما مار من دم سرب (٤)  
 وقال أمية بن أبي الصلت  
 ساجي أياظلم لم ينزعوا تقفا      ولم يسألوا لهم قلا وصئبانا (٥)

التلبية - الطواف بالبيت - السعى - الوقوف بعرفة

كانوا يملون ويلبون في الحج وشاهد التهليل قول نُبَيْه بن الحجاج

انى والذى يحج له شم      ط اياذ وهلوا تهليلا (٦)  
 ومبيتا بذى المجاز ثلاثا      ومتى كان حجنا تحليلا (٧)

وشاهد التلبية قول ابى المنذر « وكانت نزار تقول اذا ما أهلت لبيك اللهم  
 لبيك . لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحده  
 بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده . قال تعالى ( وما يؤمن

(١) الراقصات الابل تسير الحبيب و ( ثبير ) جبل بجوار مكة ( ٢ ) وحف  
 الرواح الوحف الاسراع و ( الرواح ) العشى أو من الزوال الى الليل اى مسرعة  
 ذلك الوقت ( ٣ ) مار الشعر تحرك و ( الفريق ) الطائفة من الناس أكثر من  
 الفرقة ويريد جماعة الحاج و ( ماقرقر ) أى وبعير هدر و ( جلها الوادى ) جانباه  
 و ( من شرب ) أى من عطش وفعله شرب كفرح ( ٤ ) مار الدم جرى  
 و ( سرب ) جار ( ٥ ) ساجى فعله سجا سجا سجا سكن ودام و ( أياطل ) جمع  
 أياطل و الاياطل الخاصرة و ( التفت ) فى المناسك الشعث وما كان من نحو قص  
 الاظفار والشارب وتتف الابط وغير ذلك و ( الصئبان ) بيض القمل مفردة  
 الصئبان كقراية ( ٦ ) هلل قال لا اله الا الله ( ٧ ) التحليل يستعمل فى كل

أكثرهم بالله الا وهم مشركون ) اى ما يوحدوننى بمعرفة حتى الاجعلوا معى شريكا من خلقى . وكانت تلبية عك اذا خرجوا حجاجا قدموا امامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا امام ركبهم . فيقولان — نحن غرابا عك (١) — فتقول عك من بعدهما

عك اليك عانيه عبادك اليمانيه

كيا نحج الثانيه

وكانت ربيعة اذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف ثمرت فى النفر الأول ولم تقم الى آخر التشريق . « وروى مسلم ان ابن عباس قال (كان المشركون يقولون لبيك لاشريك لك قال فيقول رسول الله . ويلكم قد قد (٢) فيقولون الا شريكا هوك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت) ولما جاء الاسلام عدل المسلمون عما يدل على الشرك الى غيره حتى هدام الدين لما يقولون قال عمرو بن معديكرب : الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن اذا حججنا نقول :

لبيك تعظيما اليك عمرا نغدوا بها مضمرات شُرْرا (٣)

قد تركوا الاوطان خلوا صفرا

ونحن نقول اليوم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك نبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وكان لا يشرك فى تلييته مع الله أحدا من كان على دينه السماوى وجانب الاوثان مثل زيد بن عمرو بن نفيل فلقد كان يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقاً حقاً تعبدا ورقا

عدت بما عاذبه ابراهم مستقبلا القبلة وهو قائم اذا قال

شىء لم يبالغ فيه (١) أغربة العرب سودانهم (٢) قد . تكون اسما بمعنى حسب أو اسم فعل بمعنى يكفى أو كفى (٣) العمر بالفتح وبالضم وبضمين الحياة أى طول الحياة (الضمر) بالضم وبضمين الهزال (الشُرْرا) النظر عن يمين وشمال وشُرْرا جمع شُرْراء

أنتهى لك اللهم غان راغم مهما تجشمنى فاني جاشم (١)  
 البر ابغى لا الخال ليس مهجر كمن قال (٢)  
 وكانوا في الجاهلية يطوفون في الحج بالبيت الحرام (٣) قال مضاض بن  
 عمرو بن الحارث الجرهمي  
 ونحن ولينا البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير حاضر (٤)  
 ويجعلون طوافهم سبعا قال حسان بن تبع  
 ثم طافنا بالبيت سبعا وسبعا وسجدنا عند المقام سجودا  
 وفي قول حسان وسجدنا عند المقام سجودا دليل على احترامهم مقام ابراهيم  
 وتقديسه وقد اقسم به ابو طالب في قوله  
 وموطئ ابراهيم بالصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل  
 ولم تكن عبادة الطواف بالبيت عندهم مقصورة على فريضة الحج .  
 وكانوا يتمسحون بالحجر الاسود وشاهده قول ابى طالب  
 وبالحجر الاسود اذ يمسحونه اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل (٥)

(١) رغم أنفه ذل و (تجشمنى) تكلفنى على مشقة (٢) في روايه : البر أبقي  
 و ( الخال ) الخيلا والكبر و ( هجر ) مشى في الهاجرة اى ليس من هجر  
 وتكيس كمن آثر القائلة والنوم (٣) قال صاحب كتاب حجة الله البالغة في  
 سر احترام البيت « واما الكعبة فكان الناس في زمن ابراهيم عليه السلام  
 توغلوا في بناء المعابد والكنائس باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب  
 وصار عندهم التوحيد الى مجرد غير المحسوس بدون هيكل يبني باسمه يكون  
 الحلول فيه والتلبس به تقربا منه امرا محالا تدفعه عقولهم بادى الرأى  
 فاستوجب أهل ذلك الزمان أن تظهر رحمة الله بهم في صورة بيت يطوفون  
 به ويتقربون به الى الله فدعوا الى البيت وتعظيمه ثم نشأ قرن بعد قرن على  
 علم ان تعظيمه مساوق لتعظيم الله والتقريب في حقه مساوق للتفريط في حق  
 الله فعند ذلك وجب حجه وأمروا بتعظيمه (٤) كانت ولاية البيت لنابت  
 من بعد اسماعيل ثم صارت بعد جرهم (٥) قال السهيلي قوله بالحجر الاسود

ومن العرب من كان يطوف بالبيت طاريا حكي ابن هشام في سيرته وابن العربي أن قریشاً لما ابتدعت رأى الحمس قالوا لا ينبغي لاهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حججا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا في ثياب الحمس يستعبرونها منهم للطواف بها حتى انهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للحمس من يعير معوزا من يعير مصونا فان أعاره أحس ثوبه طاف به فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة فان أنف منهم أحد من رجل او امرأة أن يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل القاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمساها هو ولا احد غيره ابدا وكانت العرب تسمى هذه الثياب اللتي - قال شاعرهم يذكر شيئا تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه

كفى حزنا كرى عليها كأنها لتي بين أيدي الطائفتين حريم (١)

فكان رجال الحل اذا لم يعرهم الحمس ثوبا طافوا عراة اما النساء فكانت أحدهن تضع ثيابها كلها الادراعا مفرجا ثم تطوف قالت ضباعة (٢) بنت عامر ابن صعصعة ثم من بنى سامة بن قشير وهي تطوف بالبيت كذلك اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله (٣)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن ابيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة الا الحمس - والحمس قریش وما ولدت - كانوا يطوفون عراة الا ان تعطيهم

---

فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود (الاصائل) جمع أصيلة والاصل جمع اصيل والاصيلة لغة معروفة في الاصيل وهو ما بعد صلاة العصر الى الغروب (١) حريم اي محرم لا يؤخذ ولا ينتفع به (٢) ذكر محمد بن حبيب ان رسول الله خطبها فذكرت له عنها كبرة فتركها فقيل انها ماتت كمدا وحزنا على ذلك قال السهيلي : ان كان صح هذا فما آخرها عن أن تكون اما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين الا قولها (اليوم يبدو بعضه او كله) تكرمة من الله لنبيه وعلمنا منه بغيرته والله أغير منه (٣) رواية . وما بدا منه فما أحله

الحمس نيا با فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء — فانزل الله على رسوله فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين »

على أن من العرب من كان يطوف بالبيت مكشوف السوأة في غير الحج لغرض يقصده فمن ذلك ما ذكره البغدادي في خزنة الادب قال : مرض أبو جندب وهو شاعر جاهل وكان له جار من خراة اسمه خاطم فقتله زهير اللحياني وقتلوا امرأته فلما برى أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرف الناس أنه يريد شرا فقال انى امرؤ أبكى على جاريه أبكى على الكعبي والكعبيه ولو هلكت بكيا عليه كانا مكان الثوب من حقويه

فاما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج في الخلعاء من بكر وخزاعه فاستجاشهم على بنى لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بنى لحيان في العرج فقتل فيهم وسي من نسائهم وذرايرهم

وقد أمسك رسول الله عن الحج حين قدم من تبوك لما ذكر مخالطة المشركين للناس في حجهم وتلييتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وبعث ابا بكر بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين الا بعض بنى بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف بعلى . قال أبوهريرة فأمرنى على أن أطوف فى المنازل من منى براءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى (١) فقيل له بم كنت تنادى فقال بأربع الا يدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف البيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له — وكان المشركون اذا سمعوا النداء براءة يقولون لعلى سترون بعد الاربعة اشهر بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن .

(١) صحل صوته يح . رووا أنه انما أرسل علياً بذلك لان العرب لاتعتد

برسالة الامير الا اذا كان المرسل بها من أهله

والضرب ثم ان الناس في تلك المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا  
وكرها ووحج رسول الله في العام القابل وحج المسلمون وقد عاد الدين كله  
لله رب العالمين

لقد علمت انقسام العرب بالنسبة للطواف في ثيابهم الى حلة وحس قال  
محمد بن حبيب - وهناك نوع ثالث وهم الطلس كانوا يأتون من أقصى اليمن  
طلسا من الغبار فيطوفون البيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك

اما الرمل (١) في الثلاثة الاشواط الاولى من الطواف بالبيت والاضطباع (٢)  
فيه فهو من سنن الاسلام وأصله ان النبي رمل وندب أصحابه اليه لظهار  
الجلد للمشركين وابداء القوة لهم فانه لما قدم مكة اصطفت كنفار قريش عند  
دار الندوة ينظرون له ولأصحابه ويستضعفونهم ويقولون أو هنتهم حتى يثرب  
فاما دخل رسول الله المسجد اضطباع بردائه ورمل . ومقتضاه عدم سنيته  
بمدان أظهر الله الاسلام لكن ثبتت سنيته بما روى عن ابن عمر أنه قال كان  
رسول الله اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا وكذا أصحابه  
رملوا من بعده وكذا المسلمون الى يومنا هذا فصار الرمل سنة متواترة

وكانوا في الجاهلية يسمون بين الصفا والمروة وشاهده قول أبي طالب

واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة وتمائل (١)

وكان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة - وهما صنمان فكانوا يسمون  
بينهما ويتمسحون بهما وكان عمرو بن لحي نصب مناة بالمشلل مما يلي قديدا

(١) الرمل الهروثة في السير (٢) والاضطباع ان يدخل الرداء من تحت  
ابطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ويبدى منكبه الايمن ويغطي الايسر  
سمى اضطباعا لما فيه من ابداء الضبعين وهما المضدان

(١) ثنى المروة وهي واحدة جريا على مذهب العرب كقول الفرزدق  
عشية سال المربدان كلاهما - وانما هو مربد البصرة وقولهم تسألني برامتين  
سلجما والعرب يشيرون بالثنوية الى جانبي المكان المنئي أو الى أعلاه وأسفله  
فيجعلونها اثنين على هذا المفزى و(تمائل) جمع تمثال وأصله تماثيل لخذف الياء

وكانت الارد والانصار وغسان تهل لها بالحج وكان من أهل لمناة لا يحل له ان يطوف بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لما كان من فعل الجاهلية فانزل الله تعالى ( ان الصفا والمروة من شعائر الله ) . وروى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالي الا أطوف بينهما . قالت : بئس ما قلت يا ابن أخي طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة وانما كان من أهل لمناة الطائفة التي بالمشال لا يطوفون بين الصفا والمروة فلما كان الاسلام سألتنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عز وجل : ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما « ولو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه الا يطوف بهما . قال الزهري : فذكرت ذلك لابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه ذلك وقال ان هذا العلم

ويظهر ان مرتبة اساف وناثلة في الالوهية عندهم دون مرتبة مناة فلذلك لم يميزوا لمن أهل لمناة ان يسمى بينهما ويتمسح باساف وناثلة المنصوبين عليهما وكانوا يقفون في الجاهلية بعرفة في الحج قال المدوي

واقسم بالبيت الذي حجت له قريش وموقف ذي الحجيج الال (١) وقول النابغة الذبياني

حلقت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأتمن ذو أمة وهو طائع (٢)

بمصطحات من لصف وثيرة يزرن الا لا سيرهن التدافع (٣)

وقال أبو طالب

(١) الال كسحاب وكتاب جبل عن يمين الامام بعرفة سمي بذلك لان الحجيج اذا رأوه ألوا في السير أي اجتهدوا ليدركوا الموقف (٢) الريبة الشك و (ذو أمة) بالضم والكسر ذو دين واستقامة (٣) لصف وثيرة موضعان اقسام بالابل التي يمتطيها الحجاج الى مكة تعظيما لها و (سيرهن التدافع) أي من الاعياء يعني يتحاملن تحاملا من الجهد والتعب

وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له الال الى مفضى الشراج القوابل (١)  
وكان وقوفهم يوم تاسع الحجة

وكانت قريش ومن تبع دينها حين ابتدعت رأى الخمس تقف بالمشعر الحرام  
وهو جبل بالمزدلفة يقال له قزح (٢) ولا تجاوز المزدلفة الى عرفة كسائر الناس  
فقد قالت قريش نحن ولاة البيت وسكان الحرم فلا يحل لنا تعظيم شيء من  
الحل كتعظيم الحرم لثلاث تستخف العرب بحرمتنا فتركوا لذلك الوقوف بعرفة  
والافاضة منها لان عرفة من الحل وهم يعرفون انها من المشاعر والحج ودين  
ابراهيم ويرون لسائر العرب الوقوف بها والافاضة منها فلما حج النبي عليه  
السلام حجة الاسلام ظنت قريش انه سيقف بالمشعر الحرام كعادتهم ولا  
يتجاوزه فتجاوزوه الى عرفات

وأُنزل الله في ابطال ما أحدث الخمس من ترك الوقوف بعرفة « ثم أفيضوا  
من حيث أفاض الناس » (٣)

ولقد طهر الله نبيه في الجاهلية من صنع الخمس ووفقه لدين ابراهيم . روى  
مسلم في صحيحه عن جبير بن مطعم قال أضللت بعيرا الى فذهبت اطلبه  
يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً مع الناس بعرفة (٤)  
فقلت والله ان هذا لمن الخمس فما شأنه هاهنا . وكانت قريش تعد من الخمس  
وكانوا يدفمون من عرفات قبل الغروب . قال صاحب كتاب حجة الله  
البالغة . ( ولما كان ذلك قدراً غير ظاهر ولا يتمين ومثل هذا الاجتماع لا بدله

( ١ ) المشعر الاقصى عرفة والال جبل بعرفة فهو بدل بعض من كل  
(و) الشراج جمع شرج وهو مسيل بالماء و(مفضى الشراج) مجمعها و( القوابل )  
المتقابلة كناية عن اجتماع الناس في مكان واحد وهو عرفة (٢) قيل أن المشعر  
الحرام كل مزدلفة (٣) الخطاب في أفيضوا لقريش ومن دان دينهم والمراد  
بالناس من عداهم من سائر العرب أمرهم ان يفيضوا من عرفات وهو يقتضى  
تسكينهم بالوقوف عليه ليتمكن الافاضة منه (٤) روى الترمذى أن حجرات  
النبي اثنتان بمكة قبل الاسلام والثالثة بالمدينة وهي حجة الوداع

من تعبين وجب أن يعين بالغروب ) وكان الذي يلى الاجازة للناس بالحج من  
 عرفة الغوث بن مر بن أد بن طابحة بن الياس بن مضر وولده من بعده  
 ويقال له ولولده صوفة ( ١ ) وكانت ولايته من قبل ملوك كندة كما نقله  
 بعضهم . وذهب ابن هشام الى انه اناولى ذلك لان أمه وكانت امرأة من  
 جرهم كانت لا تلد فنذرت لله ان هى ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة  
 ليكون عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة  
 فى الدهر الاول مع اخواله من جرهم فولى الاجازة للناس من عرفة لمكانه  
 الذى كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا . قال مر بن أديك  
 ولده الغوث ووفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنيه ربيطة بمكة العلية ( ٢ )

فباركن لى بها اليه واجعله لى من صالح البرية

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاءه

قال السهيلي « وانما خص قضاة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر  
 الحرم كما كانت خثعم وطبي تفعل . وكذلك كانت النساء تقول اذا حرمت  
 صفرا أو غيره من الاشهر بدلا من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت

( ١ ) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت  
 شيئاً من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال  
 لهم صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل  
 والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وقال ابن الكلبي . انما سمي الغوث  
 ابن مر صوفة لانه كان لا يعيش لانه ولد فنذرت لثعاش لتعلقن برأسه صوفة  
 ولتجعلنه ربيطاً للكعبة ففعلت فقبل له صوفة ولولده وهو الربيط - وقيل  
 ان أم الغوث لما ولدته وكانت نذرت ان ولدت غلاما لتعبدنه للكعبة ربطته  
 عند البيت فأصابه الحر فموت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار  
 ابني الا صوفة فسمى صوفة

عليكم الدماء الا دماء المحلين فلما انقرض بنو الفوث عن آخرهم ورثهم من بعدهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . وكانت الاجازة في آل صفوان ابن جناب بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم قال ابن اسحاق وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام كرب بن صفوان وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي

لا يبرح الناس ما حجو ام عرفهم (١) حتى يقال أجزوا آل صفوانا  
مجد بناه لنا قدماً أو ائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرانا  
وكانت الاجازة من منى لصوفة أيضاً كما سنذكره  
( النزول بمزدلفة ومنى وبقية أعمال الحج )

كانوا اذا دفعوا من عرفة في الحج باتوا ليلة مزدلفة قال أبو طالب  
وليلة جمع المنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل (٢)  
والمبيت بمزدلفة سنة قديمة في العرب . وكانوا في الجاهلية يوقدون ناراً  
على فزح وهو جبل بمزدلفة ليراهم من دفع من عرفة وأول من أوقدها كما  
قال السيوطي وغيره قصي بن كلاب ولا تزال توقد الى الآن . وكانت الافاضة  
من المزدلفة في عدوان لا يدفع الحاج منها حتى يجيزهم رجل من عدوان بن عمرو  
ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وفي أجازتهم يقول ذو الاصبع العدواني  
ومنهم من يجيز الناس بالسنة والفرض

روى أن هذه الاجازة كانت لخزاعة فغلبتها عدوان عليها ولم تزل فيهم  
يتوارثونها حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل (٣)

---

(١) المعرف الموقف بعرفات وفي رواية : ولا يرمعون في التعريف موقفهم  
(٢) جمع بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة هي المزدلفة سميت بذلك من  
التزلف والازدلاف لان الحجاج اذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا اليها أي تقربوا  
قال النووي . سميت بجمع للجمع بين المغرب والعشاء ومقتضاه أن هاتين  
الصلاتين كانتا في الجاهلية (٣) كذا قال ابن اسحاق وقال الخطابي اسمه

أحد بنى وايش بن زيد بن عدوان . وكان يدفع بالناس على حمار له اسود أجاز  
الناس عليه اربعين سنة حتى ضرب المثل به ف قيل ( أصح من غير أبي سيارة )  
وقيل كانت له أتان سوداء عوراء خطامها ليف دفع عليها أربعين سنة وفيه  
يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبي سيارة (١) وعن مواليه بنى فزاره (٢)  
حتى أجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره (٣)  
وكانت اجازته أن يتقدمهم على حماره ثم يخاطبهم فيقول  
لا هم انى تابع تباعه ان كان ثم فعلى قضاءه (٤)  
لا هم مالى فى الحمار الاسود أصبحت بين العالمين أحسد  
هلا يكاد ذو البعير الجلعد فق أبا سيارة المحسد (٥)  
من شر كل حاسد اذا حسد ومن أذاة النافثات فى العقد (٦)

اللهم حبيب بين نساءنا - وعاد بين رعائنا واجعل المال فى سمحائنا أو فوا  
بمهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول

أشرق ثبير كما نغير - ثم ينفر ويتبعه الناس . حكى ذلك الميدانى فى  
مجمع الامثال والاصبهانى عن أبى عمرو الشيبانى والكاى وقد جمعنا بين أقوالهم  
وكانوا فى الجاهلية لا ينفرون من مزدلفة الا والشمس على رؤوس الجبال  
ولذلك قال مجيزهم أشرق ثبير كما نغير . وثبير جبل عال بجوار مكة تطلع عليه  
الشمس قبل كل موضع أى ادخل يابثير فى الشروق كما نسرع للنحر ولم يقرهم  
الاسلام على ذلك . فى صحيح البخارى عن عمر انه صلى بجمع الصبيح ثم  
وقف فقال ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق

العاصى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى (١) روايه : خلوا السبيل  
عن أبى سيارة (٢) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزاره  
من قيس عيلان (٣) أى يدعو الله عز وجل يقال اللهم كن لنا جاراً مما نخافه  
أى مجيراً (٤) لان من قضاة محلين (٥) الكيد المكروه و ( الجلعد )  
الصلب الشديد و ( فق ) من الوقاية وهى الصون (٦) الأذاة المكروه

تبير وان النبي صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس  
 فاذا أفاضوا من مزدلفة نزلوا منى وفيها كانوا يرمون الجمار وينحرون ويحلقون  
 فقد كانوا اذا حجوا ساقوا الهدى فان كان من لابل فلهذه النعال والبسوها  
 الجلال وأشعروها لتعرف (١) فلا يتعرض لها أحد الا المحايين من طي، وخشم  
 قال عارق الطائي وهو جاهلي يخاطب الملك عمرو بن هند

حلفت يهْدِي مُشَرِّ بَكَرَاتِهِ      يَنْجِبُ بِصَحْرَاءِ النَّبِيِّطِ دَرَادِقَهُ (٢)  
 لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم      لا تتحين العظم ذوانا عارقه (٣)  
 يقول حلفت أيها الملك بقرابين الحرم وقد أعلمت بكراتك بالعلامة الاهداء  
 يسرع بصحراء ذلك الموضع صفارها لئن لم تتدارك ما فاتنا من عدلك لا ميلن  
 على كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم . والمعنى أكر عظمكم  
 ان لم ترجعوا عن ذلك الظلم — وأول من أهدي البدن الى البيت على ما ذكره  
 السيوطي الياس بن مضر

وينحرون هديهم بمنى قال شاس بن عبدة أخو علقمة الفحل  
 حلفت بما ضم الحجاج الى منى      وما نج من نحر الهدى المقلد (٤)  
 وقدم الشنفرى منى وبها حرام بن جابر فقبيل لاشنفرى هذا قاتل أبيك  
 (١) التقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية و (الجلال) جمع  
 جل بالضم وبالفتح هو ما تلبسه الدابة لتصان به و (الاشعار) أن يطعن السنام  
 فيسيل الدم عليه ليستدل بذلك على كونه هديا (٢) الهدى ما يهدى الى الحرم  
 من النعم و (مشعر) اسم مفعول من الاشعار وتقدم تفسيره و (بكراته)  
 جمع بكرة وهي الشابة من الابل و (يخب) من الخب وهو خطو فسيح . والباء  
 من بصحراء بمعنى فى و (النبيط) اسم موضع و (الدرادق) جمع دردق كجعفر  
 وهي صفار الابل والضمير فى بكراته ودرادقه للهدى (٣) وانتحين من الانتحاء  
 للشئ وهو التعرض له و (ذو) صفة للعظم و (عارقه) اسم فاعل من عرفت العظم  
 أكلت ما عليه من اللحم (٤) الثج سيلان الدم و (الهدى) كفى ما أهدي  
 الى مكة

فشد عليه وقتله ثم سبق الناس على رجله وقال

قتلت حراما مهديا ببلد بطن منى وسط الحجيج المصوت  
وقال أبو قيس بن الاسلت من قصيدة يأمر فيها قريشاً بالكف عن رسول  
الله ويذكر فضلهم وأحلامهم

يرى طالب الحاجات عند بيوتكم عصائب هلكى تهتدى بعصائب  
لقد علم الاقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل الجباب  
قال البرقي الجباب هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب  
تفتخر بها وتعظمها

وكانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضا وشاهده ما روى أن النبي صلى  
الله عليه وسلم أحرم عام ست من الهجرة بالعمرة هو وأصحابه وساق معه  
الهدى سبعين بدنة وقد جللها وأشعرها وأشعر المسامون بدنيهم وقتلها وليس  
معهم الا السيوف في القرب فسمعت قريش بخروجهم فاستنفروا من أطاعهم  
وعاهدوا الله الا يدخلوا عليهم مكة عنوة أبدا ونزل رسول الله بالحديبية  
وهي على تسعة أميال من مكة فأرسلت اليه قريش رسالات طاب منه الانصراف  
عن مكة عامه فمن يبعثوا لذلك الحليس بن عاتمة وكان يتأله - والمتأله المعظم  
لأمر الله كالحج والعمرة ونحو ذلك مما بقى عندهم من دين ابراهيم عليه السلام  
فاما رآه رسول الله قال لا صحابه هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في  
وجهه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى بقلائده قد أكل أوباره  
من طول الحبس عن محله قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت  
ورجع الى قريش ولم يأت رسول الله أعظاما لما رأى وصاح قائلا هلكت قريش  
ورب الكعبة أن القوم انما أتوا عمارا وقال لاصحابه رأيت البدن قلدت وأشعرت  
فأأرى أن يصدوا عن البيت فقول الحليس هذا يدل على انهم كانوا يسوقون  
الهدى في العمرة أيضا وكانوا يملقون رؤوسهم بمعنى قال الشاعر

فان تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنا لا يشتري بالدرهم

جنادل أملاء الا كف كأنها رهوس رجال حلقت بالمواسم (١)

وقال زهير بن أبي سلمى

فأقسمت جهداً بالنازل من منى وما سحقت فيه المقادم والقمل (٢)

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يمرجنى طفل (٣)

وذكر صاحب تاج العروس في مادة (قرر) ان ابن الكلبي قال عبرت هوازن وبنو أسد بأكل القررة . وذلك أن أهل اليمن كانوا اذا حلقتوا رهوسهم بمنى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فاذا حلقتوا رهوسهم سقط الشعر مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق صدقة فكان أناس من أسد وقيس يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينتفعون بالدقيق قال الشاعر

ألم تر جرماً أنجبت وأبوكم مع الشعر في قص الملبد شارع

اذ اقرة جاءت يقول أصب بها سوى القمل انى من هوازن ضارع

ولم تكن العرب قاطبة تخلق رهوسها في منى وشاهده قول ابى المنذر « ان الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها كانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يخلقون رهوسهم فاذا نفرأوا أنوا مناة فحلقتوا رهوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجمهم تماماً الا بذلك . فلاعظام الأوس والخزرج يقول عبد المزي بن وديمة المزني أو غيره من العرب انى حلقت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

وكانت العرب جميعاً في الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج

فلذلك يقول عند محل آل الخزرج «

وكانوا يرمون الجمار قال ابو طالب

(١) موسم الحج مجتمعة (١) والنازل من منى حيث ينزل الناس منها

و (سحقت) حلقت . يقال سحق رأسه وسبته وحلطه حلطه ويروى سحقت

بالفاء ومعناه حلقت و (المقادم) جمع مقدم الرأس . وأراد بالقمل الشعر أى

وشعر القمل كقوله تعالى واسأل القرية (٢) لا دأبن من الدؤوب في السير وقوله

(الا أن يمرجنى طفل) أراد الا أن تلتنى ناقتى ولدها فتحبسنى وأقيم عليها .

وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها يؤمون قذفا رأسها بالجنادل  
وقال الهذلي

لأدركمم شعث النواصي كأنهم سوابق حجاج توافي الجمرا (١)  
قال ابن اسحاق « كانت صوفة هم بنو العوث بن مر بن أد بن طابخة  
تدفع بالناس من عرفة وتجزئهم اذا تقروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمي  
الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذوو الحاجات  
المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل  
الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التمتع يرمونه بالحجارة ويستمتعجلونه  
بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى  
ورمى الناس معه فاذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة  
بجانبى المقبة فخبسوا الناس وقالوا أجزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى  
يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك  
حتى انقضوا فورثهم في ذلك آل صفوان بن جناب بن شجنة » وقد أقر قصي  
ابن كلاب لما غلب على أمر مكة آل صفوان وعدوان والنسأة على ما كانوا عليه  
لانه كان يراه ديناً . فما زالوا كذلك حتى جاء الاسلام . وروى مجاهد أنهم كانوا  
اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم في الجاهلية وفعال آباءهم  
فيقول الرجل منهم كان أبي يطعم الطعام ويحمل الحملات والديات ليس لهم  
ذكر غير فعال آباءهم فنهى الله عن ذلك في قوله « فاذا قضيت مناسككم  
فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكراً »

ثم يختمون أعمال الحج بالطواف بالبيت فاذا فعلوا ذلك حل لهم كل ما كان  
محرمًا في الحج ومنهم من كان لا يتحلل بذلك . روى ابن العربي أن قريشاً  
وبنى كنانة وخزاعة وجميع مضر كانوا يعظمون العزى فاذا فرغوا من حجهم  
وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها  
ويمكفون عندها يوماً . وقال أيضاً ان الازد وغسان كانوا اذا طافوا بالبيت

(١) الجبير مشدد الميم حيث يقع حصى الجمار

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة التي على ساحل البحر  
مما يبلى قديد وكانوا يعظمونها ويحجونها وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف  
بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما

ولنتمم الكلام على التلبية في الحج قبل الانتقال منه فنقول قال أبو العلاء  
المعري في رسالة الغفران ان تلبيات العرب منها مسجوع كقولهم لبيك ربنا  
لبيك . والخير كله بيدك . ومنها موزون من منهوك الرجز كقولهم

لبيك ان الحمد لك      والملك لا شريك لك  
الا شريك هو لك      تملكه وما ملك

أخو بنات فذك (١)

فتلك من تلبيات الجاهلية وفذك يومئذ فيها اصنام وكقولهم

لبيك يا معطي الأمر (٢)      لبيك عن بني النمر

جئناك في العام الزمر (٣)      نأمل غيثا ينهمر

يطرق بالسيل الخمر (٣)

ومنها من منهوك المنمرح كقولهم

لبيك رب همدان      من شاحط ومن دان

جئناك نبني الاحسان      بكل حرف مذعان (٤)

نطوى اليك الغيطان      نأمل فضل الغفران

وكقولهم

لبيك عن بجيله      الفخمة الرجيلة (٥)

ونعمت القبيله      جاءك بالوسيله

تؤمل الفضيلة

(١) كانوا يقولون ان الاصنام بنات الله و ( فذك ) قرية بخيبر (٢) الامر

ككتف المبارك (٣) الزمر ككتف القليل الشمر والصوف (٤) الخمر ما وارك من

شجر وغيره (٤) الحرف الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة و(ناقة مذعان )

منقادة سلسلة الرأس (٥) رجل راجل ورجيل مشاء وكامير الرجل الصلب

وروا في تلبية بكر بن وائل

ليبك حقا حقا تعبداً ورقا

جئناك للنصاحه لم نأت للرقاحة (١)

وروا في تلبية تميم

ليبك لولا ان بكرا دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا

ما زال منا عنج يا تونكا (٢)

وروا في تلبية همدان

ليبك من كل قبيل لبوك (٣) همدان أبناء الملوك تدعوك

قد تركوا أصنامهم واتبوك فاسمع دعاء في جميع الاملوك (٤)

ومن التلبية قولهم

ليبك عن سعد وعن بنيتها وعن نساء خلفها تعنيها

سارت الى الرحمة تجتنيها

( العمرة )

العمرة من شريعة ابراهيم عليه السلام . وكانت العرب في الجاهلية تعتمر

وتحرم للعمرة وشاهده قول رجل من زبيد في الجاهلية ممنعه العاص بن وائل

عن بضاعة اشتراها منه وكان ذلك سببا لحلف الفضول

يا آل فهر لمظلوم بضاعته بيطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر

أقامم من بنى سهم بذمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر

وغالب اعتناهم في شهر رجب كما شرع حينئذ في دين ابراهيم ولذلك جعل الله

رجبا شهرا حراما ليتمكن مريد العمرة من السفر الى مكة وقضاء عمرته والعود

الى بلده آمنا على نفسه وماله وأهله . وعندهم أن العمرة في أشهر الحج من أعظم

الذنوب وأبطل الشارع ذلك . روى ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة في أشهر

(١) الرقاحة الكسب والتجارة (٢) العنج الجماعة من الناس (٣) لبوك

أى لزموا أمرك (٤) الملك صاحب الملك جمعه ملوك وأملاك وملكاه وملك

وملك كركع و(الاملوك) بالضم اسم للجمع

الحج من أجز الفجور في الارض وكأوا يسمون المحرم صفراً (١) ويقولون اذا برأ الدبر (٢) وعفا الأثر (٣) والنسلخ صفر (٤) حلت العمرة لمن اعتمر قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة (٥) مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة (٦) فتعاضم ذلك عندهم فقالوا يارسول الله أى الحل قال : الحل كله (٧) . ومن أعمال العمرة الطواف بالبيت وشاهده ماروى أن عمياً (رجل من عدوان وقيل من اباد وكان فقيه العرب في الجاهلية ويفى في الحج) أقبل معتمراً ومعه ركب فنزلوا بعض المنازل في يوم شديد الحر وكان على مرحلتين من مكة فقال عمى لقومدهم في نحر الظهر من أتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى وافوا البيت من الغد في ذلك الوقت . فقال في ذلك كرب بن جبيلة المدونى .

وصك بها نحر الظهر صكة عمى ولا يبغين الا ظلالها (٨)

وجئن على ذات الصفاح كأنها نعام تبغى بالشطى رئالها (٩)

فطوفن بالبيت الحرام وقضيت مناسكها ولم تحل عقاها

وقد قدمنا في الحج أنهم كانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضا

قال ابن الاثير في الكامل . وكان من عادة الاوس اذا أراد أحدهم

(١) هو النسى وتقدم (٢) برأ نقه و( الدبر ) الجرح الذى يكون في ظهر الابل من اصطكاك الاقتاب والحمل عليه ومشقة السفر وكان يبرأ بعد انصرافهم من الحج (٣) عفا الاثر ) أى درس واحى أثر الابل وغيرها في سيرها لطول مرور الايام وقال الخطابى المراد أثر الدبر (٤) صفر هو المحرم في نفس الامر وقد سموه صفرا (٥) رابعة أى من ذى الحجة (٦) أمرهم أن يجعلوا الحجة عمرة وذلك خصوصية لهم ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية من تحريم العمرة في أشهر الحج . (٧) سألوا أهو الحل العام لكل ما حرم بالاحرام حتى قربان النساء فأجابهم النبي بانه الحل العام لكل ما حرم به (٨) عمى أصغير أعمى على الترخيم وسميت الظهر صكة عمى به و ( نحر الظهر أولها ) (٩) الرئال جمع الرأل وهو ولد النعام

العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتز على بيته كرايف (١) النخل  
الطهارة - الصلاة - الزكاة - الصوم - الاعتكاف

كانوا يتطهرون من الحدث الاصغر والاكبر في الجاهلية ويصلون ويزكون  
ويصومون ويعتكفون . أما الطهارة بالوضوء لديهم فشاهدتها قول صاحب  
كتاب حجة الله البالغة ( ان هذا الوضوء كان يفعله المجوس واليهود وغيرهم .  
وكانت تفعله حكماء العرب ) وأما الطهارة بالغسل فشاهدتها ما ذكره الزجاجي  
في أماليه قال ( وكان الحنيف في الجاهلية من كان يمجج البيت ويفتسل من  
الجنابة ويفسل موتاه ويختن فاجاء الاسلام صار الحنيف المسلم ) وموجب  
الغسل عندهم الجنابة والحيض وكانا مسلمين فيهم قبل الاسلام والدليل على  
الاعتكاف عند انقطاع الحيض ما روى أن عمرة بنت سبيع كانت مع زوجها  
في سفر وكانت حائضا فطهرت ومعهما ماء قليل فاعتسلت فلم يكف لنفسها  
وأنتدت الماء فبقيا عطشانين فقال لها زوجها كلته التي جرت مثلا . وفيها

قال الفرزدق

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر (٢)

وقال الخبل

ان قشيرا من لقاح بن حازم كفاصلة حيضا وليست بطاهر  
والغسل والوضوء فيهم من آثار الاديان السماوية التي أقرها الاسلام . ولقد  
تابعنا صاحب كتاب حجة الله البالغة في القول بموجب الوضوء عندهم وكلام  
السهيلي يقتضى خلافه فانه كتب على قول ابن هشام في غزوة السويق ان  
أبا سفيان لما رجع من مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ألا يمس رأسه ماء  
من جنابة حتى يفزو محمدا مانصه ( في هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان  
معمولا به في الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح  
ولذلك سموها جنابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم في تلك الحال

(١) الكرايف جمع كرناف بضم الكاف وكسرهما وهي أصول السعف

الغلاظ المراض تبقى في الجذع بعد قطع السعف (٢) العذابة الرحم

البيت الحرام ومواضع قربانهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة في القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره - وأما الحدث الاصغر وهو الموجب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاعسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضائه وكيفيته والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجئ من الغائط وملامسة النساء ولم يحتج في أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة .

وأما الصلاة عندهم فشاهدا قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « وكانت فيهم الصلاة وكان أبوذر رضى الله عنه يصلى قبل أن يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين . وكان قيس بن ساعدة الايادى يصلى . والمحفوظ من الصلاة فى أمم اليهود والمجوس وبقية العرب أفعال تعظيمية لاسيما السجود وأقوال من الذكر . وكانوا تركوا الصلاة والذكر وأعرضوا عنهما فبعث النبي عليه السلام وهذا حالهم » وروى مسلم فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبوذر يا ابن أخى صليت سنتين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال . قلت . فأين كنت توجه . قال حيث وجهنى الله وكان منهم من يستقبل الكعبة فى صلاته كشرع ابراهيم واسماعيل حكى عامر بن ربيعة انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حراء فقال يا عامر انى قد فارقت قومى وأتبت ملة ابراهيم وما كان يعبد اسماعيل من بعده . كان يصلى الى هذه البنية وروى الاصبهاني فى الاغانى أن زيد ابن عمرو بن نفيل كان يستقبل الكعبة فى صلاته ويقول يا مولاي :

لبيك حقا حقا      تعبدا      ورقا  
البر أرجو لا الخال      وهل مهجر كمن قال  
عدت بما عاذ به ابراهيم      مستقبل الكعبة وهو قائم  
يقول أننى لك عان راغم      مهما نجشمنى فانى جاشم

ثم يسجد — وحكوا في سر مشروعية استقبال الكعبة في الصلاة أن الكعبة من شعائر الله عند العرب أذعن لها أقاصيهم وأدانهم وجرت السنة عندهم باستقبالها فلم يكن هناك معنى للمعدول عنها

وأما الزكاة عندهم فشهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « ان العرب في الجاهلية كانت فيهم الزكاة . وكان المعمول عندهم منها قرى الضيف وابن السبيل وحمل الكل (١) والصدقة على المساكين وصلة الارحام والاعانة في نوائب الحق (٢) وكانوا يمدحون بها ويعرفون انها كمال الانسان وسعادته . قالت خديجة لرسول الله حين بدى بالوحى . فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق . وان سبيعة ابن ربيع المشهور بابن الدغنة ( والدغنة أمه ) قال مثل ذلك لأبي بكر « هذا ولا شك ان هذه السمائل العربية فيهم من آثار الاديان السماوية فان قول خديجة لا يخزيك الله أى لعمالك ما أمر به وفي رواية ليس للشيطان عليك سبيل أى لأن أعمالك من الاعمال الرحمانية التي وردت بها الشرائع السماوية وحكى بعضهم أن الزكاة فيهم من شريعة ابراهيم عليه السلام

وأما صومهم في الجاهلية فكان من الفجر الى غروب الشمس وقد اُذكر ذلك صاحب كتاب حجة الله البالغة . ومما كانت تصومه قريش يوم عاشوراء وشاهده ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٣) فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء

---

(١) الكل بفتح الكاف وتشديد اللام العيال واليتيم ومن لا يستقل بأمره وحمل الكل الاعانة بالاتفاق على العيال والضعفاء (٢) نوائب الحق الحوادث التي تكون في الحق دون الباطل (٣) يراد بالمدينة قباء أو يراد بها باطنها

فستلوا عن ذلك . فقالوا هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيما له . فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه . قال النووي . وكان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود في الجاهلية وتتخذة عيدا ويلبسون نساءهم اللباس الحسن والخلى قال المرحوم محمود باشا الفلكى في كتابه نتائج الافهام في تقويم العرب قبل الاسلام « وفي كونه صلى الله عليه وسلم وجدتم صائمين ذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم أو هو التاسع منه كما يقول ابن عباس . فكيف يكون في ربيع الاول . وأجيب بأن السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق أنه في ذلك الزمن أى زمن قدمه صلى الله عليه وسلم كان وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل وما يؤيد ذلك ما فى المعجم الكبير للطبرانى عن خارجة بن زيد عن أبيه قال : ليس يوم عاشوراء الذى يقول الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله . وكان يدور فى السنة . وكان الناس يأتون فلانا اليهودى فيألونونه فلما مات أتوا زيد بن ثابت فسألوه « ثم نقل عن البيرونى فى كتاب الآثار انه قال « وقد قيل أن عاشوراء عبرانى معرب عاشور وهو العاشر من تشرى اليهود الذى صومه صوم الكبور وأنه اعتبر فى شهور العرب فجعل فى اليوم العاشر من أول شهورهم كما هو اليوم العاشر من أول شهور اليهود » ثم قال فن جميع ما ذكر ينتج أن النبي دخل المدينة فى ١٠ تشرى وقد فرض فى التوراة صوم هذا اليوم واختلف الرواة وأصحاب السير فى يوم دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة أهو اليوم الثانى أم الثامن أم الثانى عشر من ربيع الاول كما أنهم اتفقوا على أن هذا اليوم كان يوم الاثنين (١) وعندى أن أرجح

---

(١) دعواه الاتفاق ممنوعة فقد حكى السهيلي أن ابن الكلبي قال .

خرج عليه السلام من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة

هذه الايام مايدل الحساب على أنه كان يوم الاثنين. وحيث أن الحساب لا يؤدي البتة الى أن الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول كان يوم الاثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة . وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبي عليه الصلاة والسلام المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشرى سنة ٤٣٨٣ للخليفة

وأما الاعتكاف فكانوا يعدونه قربة من القرب وينذرونه وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال يارسول الله انى نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام . قال . فأوف بنذرك وكذلك كانت تعد المجاورة قربة . لما رواه عبيد بن عمير بن قتادة قال . كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهرا . وكان ذلك مما تحنت به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر (١) وشاهده قول أبي طالب

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (٢)

فقد أقسم أبو طالب بالصاعد جبل حراء للتعبد فيه وبالنازل منه وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاور ذلك الشهر أن يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول مايبدا به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته . وأول منازل عليه الوحي كان بحراء في جواره . قال ابن عبد البر ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد

---

يوم الجمعة لثنتي عشرة منه ( ١ ) العرب تقول التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون بالهاء التاء وتفعل تقتضى الدخول في الفعل وهو الاكثر فتحنث وتبرر بمعنى دخل في الحنيفية وفي البر (٢) ثور وثير جبلان من جبال مكة . وفي البيت رواية لابن هشام وهي وراق ليرقى في حراء ونازل ولان الراقي لا يرقى قال السهيلي وأصح الروايتين وراق لبر في حراء ونازل قال البرقي هكذا رواه ابن اسحاق وغيره وهو الصواب

ولذلك لم يسم عبيد بن عمير جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد  
ولكنه من جبال الحرم

### الاستسقاء بالدعاء وبالنار

كانت العرب في الجاهلية اذا حبس عنهم المطر لجئوا الى الله تعالى يستمطرونه  
ليكشف ما نزل بهم من البلاء وكانوا كثيرا ما يستمطرون في الاماكن المطهرة  
طمعا في اجابة الدعاء كما كانوا يستسقون بمن يرجون الخير بيمن طلعت  
والاستسقاء فيهم من زمن قديم وهو من بقايا الشرائع السماوية . فقد  
ذكر أن اصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فأرسلوا وفدا الى  
مكة يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عسير ولقيم بن هزال ومرثد بن مسعد .  
وكان مسدأ يكتم اسلامه وجلهمة بن الخبيري خال معاوية بن بكر . ولقمان بن  
عاد في سبعين رجلا من قومهم فاستسقوا فأرسل الله على عاد سحابة سوداء  
ملاها عذابا فلما طلعت عليهم استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرا واذا به  
ما استعجلوا به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ مرت به فأهلكهم الله  
بريح عاتية تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية . وعلم الوفد حين رجعوا بمهلك  
قومهم . وفي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي

في كل عام لنا وفد نسيرهم      نختارهم حسبا منا وأحلاما  
كانوا كوفد بني عاد أضلهم      قيل فأتبع عام منهم عاما  
عادوا فلم يجدوا في أرض قومهم      الا مغانيهم قفرا وآراما

ولقد حفظ لنا التاريخ مثلا من دعواتهم في الاستسقاء نذكره لما فيه من الفائدة  
والبلاغة . فن ذلك ما حدث به مخزومة بن نوفل قال : سمعت أمى رقيقة بنت  
أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف وكانت لدة (١) عبد المطلب . قالت تتابعت  
على قریش سنون أمحلت (٢) الارض وأذهبت الاموال وأقحلت (٣) اللحم  
وأرقت العظم وأشفين (٤) على الانفس فبينما أنا نائمة اللهم أو مهومة (٥) اذا

(١) اللدة الترب بكسر التاء أى النظير في السن (٢) أمحلت أقحطت (٣)

أقحلت أي بست (٤) أشقى أشرف (٥) المهوم من يكون بين النائم واليقظان

أنا بهاتف صيت (١) يصرخ بصوت صحل (٢) أقشعر له جلدي يقول :يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم (٣) أيامه وهذا أوانه وأبان نجومه (٤) خفيها بالحيا والخصب والفلاح (٥) ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا طوالا عظاما أبيض بضاً أوطف الاشفار (٦) سهل الخدين (٧) أشم المرنين (٨) مقرون الحاجبين له شرف يكظم عليه وسنة تعزى (٩) اليه الا فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كل بطن (١٠) رجل فليسنوا (١١) من الماء وليسوا من الطيب ثم ليستموا الركن (١٢) وليطوفوا بالبيت سبعا وليرتقوا بأقبيس الا وفيهم الطيب الطاهر ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغثم (١٣) اذا شتم وعشتم قالت فأصبحت علم الله مذعورة مفراة قدقف لها جلدي وولاه عقلي (١٤) فاقتصصت رؤياي فنمت (١٥) في شعاب مكة فوالحرمة والحرم ما سمع بها أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد عبد المطلب (١٦) وتنامت اليه رجالات قريش

(١) الصيت البعيد الصوت (٢) الصحل صوت فيه بحة (٣) أظل دنا وقرب (٤) النجوم الطالع (٥) حيهل بكذا أى عليك به و (الحيا) المطر و (الفلاح) البقاء (٦) الوسيط من قولهم أوسطهم حسنا أى اكرمهم وأشرفهم و (الطوال) الطويل و (العظام) العظيم و (البض) الممتلئ وفي رواية أوطف الاهداب و (الاوطف) طويل الاهداب و (الاهداب) شعرا أشفار العميون مفرده هذب (٧) سهل الخدين قليل لحمهما (٨) شمم المرنين طول طرف الانف (٩) كظم بمعنى أمسك ومنه يكظم غيظه و (السنة) السيرة و (تعزى) أى تنسب (١٠) الدلف مشى على مهل كمشى الشيخ و (البطن) من بطون العرب دون القبيلة وقد يطلق عليها (١١) سن عليه الماء بالسين المهملة صبه (١٢) استلام الركن ضم الحجر (١٣) غثم مطرتم (١٤) الذعر الفزع و (مفراة) بالقاء الموحدة متحيرة مدهوشة من فرى بكسر الراء تحير ودهش و (قف جلده) يبس ويروى قب أى ذوى و (الوله) ذهاب العقل (١٥) نمت بتشديد الميم فشت ومنه النمام وبتخفيفها زادت من النمو (١٦) الشعاب جمع شعبة ما صغر من التلعة والتلعة ما ارتفع من الارض و (الحرمة) الذمه وما يجب حفظه

وانقض (١) اليه من كل بطن رجل فسئوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا  
الركن أو اطوفوا ثم ارتقوا بأقبيس فطلق القوم يدفون (٢) حوله ما ان يدرك  
سعيهم مهلة حتى يجلوا ذروته واستكفوا جنابته (٣) ومعه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيقع أو كرب (٤) فقال عبد المطلب اللهم ساد  
الخلة (٥) وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومستول غير مبخل (٦) وهذه  
عبادك واماؤك بمذرات حرمك (٧) يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف  
وأفنت الظلف (٨) فاسمع اللهم دعاءنا وأنزل علينا غيثا مريعا مفدقا ودقا  
(٩) طبقا فاماوا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بشيجه  
(١٠) فسمعت شيخان قريش وجلتها (١١) يقولون هنيئا يا أبا البطحاء  
اذ عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة بنت أبي صيفي تمدحه عليه  
الصلاة والسلام

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوزالمطر (١٢)

و(الحرم) حرم مكة و(الابطحى) هو القرشي من مكة خاصة و(شبية الحمد)  
هو عبد المطلب (١) تتامت اجتمعت و(انقض) أسرع (٢) طفق دام و(يدفون)  
يتداولون (٣) ذروة كل شئ أعلاه و(استكفوا) أحاطوا به ينظرون اليه  
و(جنابته) ناحيته (٤) أيقع الغلام قارب الاحتلام و(كرب) من أفعال  
المقاربة والمعنى أو قارب (٥) الخلة الحاجة (٦) غير بخيل (٧) عبادك جمع عبد.  
ويروى عبداؤك بكسر العين والباء وتشديد الدال أى عبيدك و(بمذرات  
حرمك) أى بافنائها (٨) الظلف للبقرة والشاة ومثلها كالتقدم للانسان و(الخف)  
للبعير وأراد ذوات الظلف وذوات الخف (٩) مريعا أى مخصبا و(المفدق  
الكثير القطر و(الودق) المطر (١٠) راموا برحوا و(كظ) الوادي أى ضاق  
بالماء لكثرتة و(نحيجه) سيلانه (١١) شيخان جمع شيخ والشيخ من  
استبان فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى  
الثمانين و(جلتها) عظامؤها و(جلتها) (١٢) الحيا الخصب والمطر و(اجلوز)

فجاء بالماء جوفى له سبل      دان فعاش به الانعام والشجر (١)  
 منا من الله بالميمون طائره      وخير من بشرت يوما به مضر (٢)  
 مبارك الامر يستسقى الغمام به      ما فى الانام له عدل ولا خطر (٣)  
 وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم استسقاء آخر وكان رضيما . وذلك أن  
 قريشا أجدبت وحبس عنهم المطر فأمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر  
 المصطفى وهو رضيع في قنات فلما حضر وضعه على يديه واستقبل الكعبة  
 ورماه الى السماء وتناوله بيديه ثم رماه ثانيا وثالثا وهو يقول يارب بحق هذا  
 الغلام اسقنا غيثا مغيثا مفدقا دائما هاطلا فما انصرفوا حتى جاءهم الغيث وفي  
 ذلك يقول عمه أبو طالب في قصيدته اللامية  
 وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ثمال اليتامى عصمة للارامل (٤)  
 يطيف به الهلاك من آل هاشم (٥)      فهم عنده في نعمة وفواضل  
 ويستسقى كل ذى دين من معبوده      بالتقرب اليه وسند كرخبرخولان وتوسلهم  
 لصنمهم عميانس بالذبايح ليسقوا .  
 ومنهم من يستسقى بالنار وكانوا اذا أرادوا الاستمطار بها جمعوا ماقدروا  
 عليه من البقر وعقدوا في أذناها وبين عراقبيها حزما من السلع والعشر (٦)  
 وأوقدوا فيها النار وأصعدوها في جبل وعرفوا بينها وبين أولادها

مضى وذهب (١) الجون الأبيض والأسود وهو من الاضداد و( السبل ) المطر  
 (٢) من عليه أنعم و( الميمون طائره ) أى السعيد حظه و( مضر ) قبيلة من  
 العرب (٣) في رواية مبارك الكف و( الغمام ) سحب المطر و( الانام ) الخلق  
 و(العدل) بالكسر مثل الشيء و( لاخطر ) أى لا مثل له في علوه (؟) قد عبر عن  
 الكرم بالبياض . يقال له عندى يد بيضاء أى معروف و( الثمال ) العماد  
 والملجأ والمطمع والمعنى والكافى و( العصمة ) ما يعتصم به ويتمسك (٥) في  
 رواية يلوذ به الهلاك و( الهلاك ) الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلبا  
 لمعرفتهم من سوء الحال (٦) السلع بفتحيتين و( العشر ) يضم ففتح ضربان  
 من الشجر

وساقوا البقر الى ناحية المغرب دون سائر الجهات وهم يصيحون بالتضرع والدعاء لله تعالى ويستسقونه وسط خوار الثيران وتأجج النيران يستجلبون بذلك رحمته وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت

- سنة أزيمة تبرح بالناس س ترى للعضاء فيها صيررا (١)  
 لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طحرورا (٢)  
 اذ يسفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (٣)  
 ويسوقون باقر السهل للطود د مهازيل خشية أن تبورا (٤)  
 عاقدين النيران في تكن الاذ ناب منها لكي تهيج البحورا  
 فاشتوت كلها فهاج عليهم ثم هاجت الى صبير صبيرا (٥)  
 فرآها الآله ترسم بالقطر وأمسى جناهم ممطورا (٦)  
 سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا (٧)

(١) أزيمة أى شديدة وفي رواية سنة جذبة و ( تبرح بالناس ) تصيبيهم بشدة الاذى و( العضاء ) جمع عضاهة وهى أعظم الشجر أو اللحمط أو كل ذات شوك و( الصرير ) الصوت (٢) نوء النجم سقوطه فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته و( ريح الجنوب ) هى التى تخالف الشمال ومهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا - ما فى السماء ( طحورور ) وطحورورة أى لطح من السحاب (٣) الباء فى بالدقيق زائدة و( الفطير ) من العجين ما اختبرته من ساعته ولم تحمره (٤) الباقر البقر و( الطود ) الجبل أو عظيمه و( تبور ) تهلك (٥) الصبير السحابة البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحابة أو الذى يصير بعضه فوق بعض (٦) رسم الغيث الديار عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالارض و( الجاب ) الفناء والناحية (٧) قال ابن أبى الحديد « يروى أن عيسى بن عمر قال ما أدرى معنى هذا البيت ، ويقال أن الاصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أتقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر و( البيقور ) البقر و( عائل ) غالب أو مثقل ، ويمكن أن يحمل تفسير الاصمعى

وقال آخر

يا كحل قد أثقلت أذنان البقر بسلع يعقد فيها وعشر

فهل تجودين ببرق ومطر

وهذه النار تسمى نار الاستمطار . وأنكر كثير منهم فائدة الاستمطار

بالنار قال الشاعر

شفعنا ببيقور الى هاطل الحيا فلم يغن عنا ذلك بل زادنا جدبا

فعدنا الى رب الحيا فأجادنا وصير جذب الارض من عنده خصبا

وقال آخر

قل لبني نهشل أصحاب الحور أتطلبون الغيث جهلا بالبقر

وسلع من بعد ذلك وعشر ليس بذبا يجلل الارض المطر

وقال الورل الطائي يعيهم أيضا .

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر

أجعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

قال ابن أبي الحديد ، وإنما أضرمو النيران في أذنان البقر تفاؤلا للبرق

بالنار . وقال بعض الاذكياء كل أمة قد اتخذوا في مذاهبها مذاهب ملة أخرى

وكانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الارض وأن

لها عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الابدان بأخشائها ويفسلون الوجوه ببولها

ويجعلونها مهور نسائم ويتبركون بها في جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب

خذوا هذا الخذو واتهجوا هذا المسلك « وللبقر عند قدماء المصريين أسمى

المنازل الدينية وليست هذه العادة من الخرافات فان للدخان أثرا في الامطار

وقد جرب بعض علماء الافرنج بأمريكا انزال المطر بالدخان المتكاثف

فنجحت تجربته

على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أي أهلكه

وغالتهم غول يعني المنية «

## ( النذر )

كانوا في الجاهلية يوجبون على أنفسهم فعل أشياء أو تركها وذلك هو  
النذر ويتمدحون بالوفاء به قال عنزة العبسي في معلقته

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم  
الشامي عرضي ولم أشتمهما والناذرين اذا لم ألقيهما دمي  
وقال زهير

قد أشهد الشارب المعذّل لا معروفه منكر ولا حصر (١)  
في فتية ليني المآزر لا ينسون أحلامهم اذا سكروا  
يشوون للضيف والعفاة ويوفون قضاء اذا هم نذروا (٢)

وكانت قديما نذورهم تقربا لله تعالى ثم لما تغيرت الخيفية بعبادة الاوثان  
ودخلت فيهم الديانات الوضعية صاروا ينذرون لاصنامهم أو للانتقام أو لغير  
ذلك من الاغراض المختلفة التي لا يمكن استقصاؤها ولنذكر أمثلة منها  
في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية  
أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرك

ومنها ما روى أن الحكم بن عبد يعقوب المنقري نذر ليذبحن مهاة على  
الغيب (٣) وكان من أرمى الناس فرام صيدها أياما فلم يمكنه فكان يرجع  
مخفقا حتى تم بقتل نفسه مكانها فقال له ابنه مطعم احملني أرفدك فقال ما احمل  
من رعين رهل (٤) جبان فشل فإزال به حتى حملة فرمى الحكم مهايتين فاخطأهما  
فلما عرضت الثالثة رماها مطعم فاصابها فقال الحكم ( رب رمية من غير رام )

(١) المعذّل كعظم من يعذل لأفراط جوده و ( الحصر ) البخل والعي في المنطق  
(٢) العافي الضيف وكل طالب فضل أو رزق (٣) المهاة البقرة  
الوحشية ( والغيب ) منحصر العزى كانوا ينحرون فيه هداياها (٤) الارفاد  
الاعانه و ( رهل ) لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم  
من غير داء

فصربت مثلاً في فلتة احسان من المسمى

ومنها أن العوث بن مس بن أد بن طابخة كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن  
عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجمانه ربيطاً للكعبة فلما عاشها العوث وفت  
بنذرها فسمى صوفة وكان له ولولده الاجازة بالحج من عرفة ومن منى لمكانه  
من الكعبة .

ومن ذلك نذر تهود الاولاد قال السهيلي « اليهود بنو امرائيل وجملة  
من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في  
الايوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش  
ولدها ان تهود لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب وفي هؤلاء الابناء  
الذين تهودوا نزلت ( لا اكراه في الدين ) حين أراد آباؤهم اكراههم على الاسلام  
في أحد الاقوال »

ومن ذلك ماروى ان عاصم بن ثابت بن ابي الاقح قتل في غزوة احد  
من المشركين مسافع بن طلحة واخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يصيبه بسهم  
فيأتي امه سلافة فتضع رأسه في حجرها وتقول يا بني من أصابك . فيقول  
سمعت رجلاً يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبي الاقح فنذرت ان أمكنها  
الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

ومنها ماروى ان ابا سفيان لما رجع من مكة ورجع منهزمو قريش من  
بدر نذر الایس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً

ومنها ما كان من عبدالمطلب بن هاشم فانه حين لقي من قريش ما لقي عند  
حفر زمزم نذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنموه لينحرن أحدهم لله  
عند الكعبة فلما بلغ بنوه عشرة وعرف انهم مانعوه جمعهم وأخبرهم بنذره  
ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه . فجعل لكل قدحاً وكتب عليه اسمه  
وضرب القداح سادن هبل عنده فخرج قدح عبدالله فهم بذبحه فقامت قريش وقالوا  
لا تذبحه ابداً حتى نعدر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما  
بقاء الناس على هذا وأشاروا اليه أن يذهب لعرافة سموها له ليستفتيها فيما

نزل به فلما نزل عبد المطلب بساحتها وتقص عليها أمره أمرته أن يضرب  
القداح على عبد الله وعلى عشر من الأبل فان خرج قدح عبد الله زاد الأبل  
عشرا وضرب ولا يزال يفعل ذلك حتى يخرج القدح على الأبل فعاد الى مكة  
وضرب القداح وما زال يزيد الأبل حتى بلغت مائة فخرج القدح عليها  
فذبجوها وعبد الله هو والد نبينا المراد بقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن  
الذيبحين وثانيهما اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام

ومن نذورهم السائبة ان أحدهم كان اذا نزل به المكروه ينذر ان رفع عنه  
ان يسب ناقته . فاذا فعل ذلك لم تمنع من الماء ولا من الكلاً . وقد يسيبون  
غير الناقة - وكانوا اذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء

ومن نذورهم ما كان من لبيد بن ربيعة بن عامر وكان شريفا في الجاهلية  
والاسلام فقد نذر في الجاهلية الاثب الصبا الانحر وأطعم . وهبت الصبا يوما  
وهو بالكوفة مقترملى فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان أميرا  
عليها لثمان فخطب الناس فقال ان أخاكم لبيدا كان آلى على نفسه في الجاهلية  
ألا تهب الصبا الا أطعم وأنزم نفسه ذلك في الاسلام وهذا اليوم من أيامه  
فأعينوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث اليه بمائة بكرة . وبعث الناس اليه  
فقضى نذره وكتب اليه الوليد

أرى الجزار يشحد شفرتيه اذا هبت رياح أبي عقيل

أغر الوجه أبيض عامرى طويل الباع كالسيف الصقيل

وفى ابن الجعفرى بحلقتيه على العلات والمال القليل (١)

بنحر الكوم اذ سحبت عليه ذبول صبا تجاوب بالاصيل (٢)

فلما أتاه الشعر قال لابنته أجيبيه فقد أراني ولا أعيا بجواب شاعر

فانفأت تقول

اذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا

أغر الوجه أبيض عبشيميا أعان على مروءته لبيدا

(١) على علاقته أى على كل حال (٢) الكوم القطعة من الأبل

بأمثال الهضاب كان ركبا عليها من بني حام قعودا (١)  
 أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الوليدا  
 فعد ان الكريم له معاد وظنى يا ابن أروى أن تعودا  
 فقال أحسنت لولا انك استزدته فقالت انه ملك ولو كان بسوقة لم أفعل  
 ذبح الظبي في نذر الشاة - كان أحدهم يقول عند المكروه يصيبه ان

خلصت منه لا ذبحن من الغنم كذا وكذا ثم اذا كشف الله عنه ما يكره ضمن بما  
 نذر لان من ألبانها غذاؤه وكره عدم الوفا. فاستبقى الغنم وذبح من الظباء التي  
 يصيدها بعدد ما نذر من الغنم. وقال الظباء شاء كما أن الغنم شاء فيجعل ذلك  
 القربان شاء كله مما يصيد من الظباء. قال الحارث بن حلزة

عنتابا طلا وظلما كما تم ترعن حجرة الربيض الظباء (٢)  
 أعلينا جناح كندة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء

واصل العتر الذبح في رجب وكانت العرب تنذره لآهتها فيقول قائلهم  
 ان رزقنى الله خمسين شاة ذبحت منها في رجب واحدة مثلا ويسمى هذا الذبح  
 العتيرة والرجبية - ومعنى البيتين انكم الزتمونا ذنب غيرنا عنتا باطلا كما  
 يذبح الظبي لحق وجب في الغنم وقال الرماح في تلك العتائر

كان الغوى الفرد أجسد رأسه عتائر مظلوم الهدى المذبح (٣)  
 وقال كعب بن زهير في رثاء جوى المزنى وهي من أبيات الحماسة  
 لنذكرك والنذور لها وفاء اذا بلغ الخزاية بالفوها

(١) الهضاب والهضب جمع الهضبة وهي الجبل و(حام) هو ابن نوح  
 أبو السودان (٢) العنت الفساد (وتعتر) تذبح (والحجرة) بالفتح الناحية  
 والمراد بها هنا موضع الغنم و(الربيض) الغنم برعائها المجتمعة في مراتبها  
 (٣) الغوى الضال ولعله يريد به الصنم و(الجسد) الدم اليابس والزعفران  
 واذا قام الثوب من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان و(العتائر) الذبائح  
 وازدادة الذبائح لمظلوم اضافة بيانية. والهدى المذبح المظلوم هو الظباء  
 المذبوحة بدل الشياه

كانك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها (١)  
فما عتر الظباء بحى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها  
والمعنى اننا وفينا ولم نقنع فى أخذ نأرك بشئى يعنى عما نذرتة كما تدبج  
الظباء بدل الغنم

وكان سبب هذه الابيات أن جويأ المزنى مر على الاوس والخزرج وهم  
يقتتلون والايوس حلفاء مزينة فقاتل جوى مع حلفائه فأصيب فر به ثابت بن  
المنذر بن حرام أبو حسان الشاعر فقال : اخا مزينة ما طرحك هذا المطرح  
فوالله انك من قوم ما يحمونك فرفع جوى رأسه اليه وهو يجود بنفسه  
فقال : اعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا أعرج وبلغت  
كلته قومه فوفوا له بما قال - فلذلك يقول الرماح : ولا الخمسون قصر  
طالبوها ومن هذا الباب قولهم فى المثل ( أفرع بالظبي وفى المعزى دأثر ) الباء  
فى بالظبي زائدة أى ذبح الظبي وفى المعزى كثرة - - يضرب مثلاً لمن له  
اخوان كثيرون وهو يستعين بغيرهم

( ما يفعلونه للموتى )

نذكر فى هذا الفصل عاداتهم التى منشؤها الشرائع السماوية كتحنيط الميت  
وتكفينه وغسله والمبالغة فيه بوضعهم فى ماء القسل سدرأ ونحوه ثم تتبع ذلك  
تتميماً للموضوع بما كان منشؤه المعتقدات الوهمية كوضع البلية على القبر يركبها  
الميت يوم البعث وبما كان منشؤه الفخر والزهو كاتخاذ حرم للقبر وتعمية بنائه  
وغير ذلك

نعمى الموتى - قال الاصمعى كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر  
ركب راكب فرساً وجعل يسير فى الناس ويقول لعاء فلانا أى انعه وأظهر خبر  
وفاته وهذا هو الناعى المراد بقول المتنخل الهدلى

(١) بزت الثياب سلبت

- أقول لما أتاني الناعيان به لا يبعد الرمح ذوالنصلين والرجل (١)  
 رمح لنا كان لم يفلل ننوء به توفي به الحرب والعزاء والجلل (٢)  
 وقول أعشى باهلة يرثي أخاه لأمه المنتشر  
 انى أتتني لسان لا أسر بها من عذو لا عجب منها ولا سخر (٣)  
 فظلت مكتئباً حران أنديه وكنت ذا حذر لو ينقم الحذر  
 جاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر (٤)  
 يأتي على الناس لا يلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر (٥)  
 ان الذي جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النهى والغير  
 ينمى امرأ لا تذب الحى جفنته اذا الكواكب اخطأ نوءها المطر (٦)  
 والغرض من اتخاذ الداعى الاعلام لينهض الناس بالواجب عليهم نحو هذه  
 المصيبة ولتمزية أهل الميت

(١) يبعد بمعنى يهلك و (الرمح) فاعل يبعد و (النصل) حديدة الرمح  
 الذى يطعن به وهو السنان (٢) (رمح لنا) أى هو رمح لنا وضهير كان  
 يرجع الي المرثى وجملة (لم يفلل) خبر كان أى لم يكسر ولم يثلم من القل بفتح  
 الفاء واحداً الفلول وهى كسور فى الشئ و (ننوء به) أى نهض به يقال ناء  
 بكذا أى نهض به مثقلاً و (توفى به الحرب) أى تولى به وتقهرو وهو بالفاء  
 وروى بالقاف أيضاً من الوقاية و (العزاء) بفتح الهمزة وتشديد الزاء المعجمة  
 السنة الشديدة و (الجلل) بضم الجيم وفتح اللام جمع جلى وهو الامر الجليل  
 العظيم مثل كبرى وكبرى ودرى وصغر (٣) اللسان الرسالة وأراد بها نعى المنتشر  
 و (سخر) بضم السين - والمعنى أتاني خبر من أعلى نجد لا أعجب منها وان  
 كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة (٤) جاشت النفس ارتفعت من حزن  
 أو فزع (٥) لا يلوى على أحد أى لا يعرج (٦) النعى خبر الموت و (أغبت)  
 القوم جفنته جاءتهم يوماً وتركت يوماً كغيب و (النوء) سقوط النجم فى المغرب  
 مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق - والعرب كانت تنسب نزول  
 المطر للنوء فتقول مطرنا بنوء كذا

غسل الميت - كانوا يغسلون موتاهم في الجاهلية . قال الافوه الاودى  
 ألا عللاني واعلماني انني اغرر فما قلت ينجيني الشقاق ولا الحذر (١)  
 وما قلت يجديني ثوابي اذا بدت مفاصل أو صالي وقد شخص البصر (٢)  
 وجاءوا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيتبعه غير  
 وفي الاغانى أن أبا لهب لمات بالعدسة تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنانه  
 حتى أنن في بيته . وكانت قريش تمتق العدسة كما تمتق الطاعون تخشى عدواها  
 حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما ألا تستحيان ان أباكما قد أنن في بيته  
 لا نفيبانه . فقالا نخشى هذه القرحة . قال : فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه الا  
 قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فأحتملوه فدفنوه بأعلى مكة  
 وكانوا يضعون في ماء الغسل ما يساعد على النظافة من سدر أو اشنان .  
 ويغسلون بالسدر ونحوه رءوسهم ولحائم وشاهده قول امرئ القيس لما أخذت  
 بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فقدم بهم على المنذر فضرب  
 رقابهم بحجر الاملاك في ديار بني مرين

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلوننا  
 فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا  
 ولم تغسل رءوسهم بسدر ولكن في الدماء مزاملينا (٣)

وقد أقرهم الاسلام على ما كان عندهم من ذلك

تحنيط الميت كانوا بعد غسل الميت يحنطونه والحنوط كصبور وكتاب  
 عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت  
 وذكروا أن منسما كانت امرأة تبيع الحنوط في الجاهلية . فقيل للقوم

(١) الغرر بالنفس التعريض للخطر - مصدر يراد به اسم المفعول  
 (٢) والاورصال المفاصل أو مجتمع العظام (وشخص بصره) فتح عينيه  
 وجعل لا يطرف (٣) السدر ورق النبق وفي رواية ولم تغسل جماجمهم بغسل  
 و(تزمل) تلفف

إذا تحاربوا دقوا بينهم عطر منشم أرادوا بذلك طيب الموتى . وروى ان أول  
من طيب الموتى بالحنوط مقسم بنهر القضاعى  
كفن الميت - كانوا يكفنون الميت (١) وشاهده قول قس بن ساعدة  
الايادى .

بابا كى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا يزهم خرق (٢)  
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نومانه الصعق  
وقال عنبرة العيسى

وأحمى حمى قومي على طول مدتى الى أن أرانى فى اللغائف أدرج (٣)  
وقال حجية بن المضرب يخاطب النعمان بن المنذر

ان كان ما بلّغت عنى فلامنى صديقى وشلّت من يدى الانامل  
وكفنت وحدى منذرا فى ردائه وصادف حوطاً من أعادى قاتل (٤)  
وسبب هذين البيتين أن النعمان بن المنذر أغار على بنى تميم فنذروا به  
ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب . وكان فيمن كان معه حجية بن المضرب  
وكانت أخته فكيفة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة . فنذر بنو تميم  
بالنعمان فهزموه . (٥) فاتهم النعمان حجية أن يكون أنذرهم فقال البيتين  
وكانوا يكفنون الميت فى ثوب ثمين النسيج اذا كان عظيماً . وشاهده ما  
يروى أن دريد بن حرملة لما قتل معاوية بن عمرو الشريد قدم أخوه صخر  
فأتى بنى مرة . فقال : من قتل أخى . فقال له هاشم بن حرملة . اذا  
أصبتنى أو دريدا فقد أصبت ثارك . قال فهل كفنتموه . قالوا : نعم فى بردين

(١) الكفن لباس الميت (٢) الجدث القبر و (البز) الثياب (٣) اللغافة

ما يلف به على الرجل وغيرها جمعه لغائف يراد بها هنا الكفن

(٤) قوله وكفنت وحدى منذرا : أى أكون غريباً لا أجد معينا وقوله  
فى ردائه أى لا أجد كفنا يليق به و (المنذر) أخو حجية الشاعر و (حوط)  
ابنه وبه يكنى (٥) نذر بالشىء كفرح علمه فخره و (انذره بالامر) أعلمه  
وحذره وخوفه فى ابلاغه

أحدهما بخمس وعشرين بكرة . قال : فأروني قبره . فأروه إياه . فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال ؛ كانكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعى . فوالله ما بت مذعقت الا وارا أو موتورا أو طالبا أو مطلوباً حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده . وقال مهلهل بن ربيعة من رثاء أخيه كليب

فا بكين سيد قومه واندينه شدت عليه قباطى الا كفان (١)

وقد جاء ذكر الخنوط وترجيل الشعر والسكنف في شعر يزيد بن حذاق قال ابن قتيبة انه أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره حيث قال  
 هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق  
 قد رجلوني وما بالشعر من شعث والبسوني ثيابا غير أخلاق  
 وطيبوني وقالوا أيما رجل وأدرجوني كاني طي مخراق  
 وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح القبر أطباق  
 وقسموا المال وأرفضت عوائدهم وقال قائلهم مات ابن حذاق  
 هون عليك ولا تولع باشفاق فانما مالنا للوارث الباقي  
 وجاء الشرع الاسلامي فأقر تحنيط الميت وتكفينه . وكره تسريح شعره  
الصلاة على الميت - كانوا يصلون على موتاهم وصلاتهم اذا مات الرجل  
 وحمل على سريره ان يقوم وايه فيذكر محاسنه كلها ويثنى عليه . قال رجل من  
 كلب في الجاهلية لابن ابن له

امرو ان هلكت وكننت حياً فاني مكثرت لك من صلاتي

قيل وأول من صلى في الجاهلية على الميت عطيرة بن صعب السكسكى .  
 ومن بليغ ما ورد من ذلك في الاسلام ما ذكره الحرمازي وغيره من  
 ان الاحنف بن قيس لما مات بالكوفة أيام خرج مع مصعب بن الزبير  
 الى قتال المختار فلما دفن قامت امرأة على قبره من بني منقر فقالت : لله درك  
 من مجن في جنن ومدرج في كفن ففسأل الذي جمعنا بموتك وابتلانا بفقدك

(١) القبطية بالضم وقد تكسر ثياب من كتان تنسج بمصر منسوبة  
 الى القبط على غير القياس كالدهرى جمعه قباطى بالتشديد وقباطى بالتخفيف

أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك . ثم اقبلت بوجهها على الناس فقالت ، معشر الناس أن أولياء الله في بلاده شهود على عباده وانا قائلون حقوا ومثنون صدقا . وهو أهل لحسن الثناء وطيب الدعاء . ثم اقبلت على القبر فقالت : اما والذي كنت من أجله في عدوة ومن الضمان الى غاية ومن الحياة الى نهاية الذي رفع عمك عند انقضاء أجلك لقد عشت حميدا مودودا ولقد مت فقيدا سعيدا وان كنت لعظيم السلم فاضل الحلم وان كنت من الرجال لشريفا وعلى الارامل عطوفا وفي العشرة مسودا والى الخلفاء موفدا . ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرايك متبعين . فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها

سرير الميت - كانوا يحملون الميت اما عنى الحراج وهر خشب يشد بعضه

الى بعض قال امرؤ القيس

فاما تريني في رحالة جابر على حراج كالتقر تخفق أكفاني (١)

وأما على النعش وهو سرير الميت وقيل النعش للمرأة والسرير للرجل ذكر ذلك ابن سيده في المخصص . وعلى اختصاص المرأة بالنعش فأول امرأة حملت في نعش زينب بنت جحش زوج النبي عليه السلام كما حكاه القلقشندي في صبح الاعشى لكن جاء في كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى ما يقتضى ان أول امرأة حملت في نعش هي فاطمة بنت رسول الله وذلك انها بعد وفاة أبيها كمدت سبعين بين يوم وليلة . فقالت : لاسماء بنت عميس انى لاستحبي من جلالة جسمي اذا أخرجت على الرجال غدا وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء وقيل قالت يا أسماء انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المرأة الثوب فيصنفها . قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئا رأيت به بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة :

(١) الرحالة هنا خشبة كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضا . وجابر من

بنى تغلب وكان هو وعمرو بن قميئة يحملانه و(الحراج) خشب يحمل فيه الموتى

و(القر) مركب من مراكب النساء كالهودج

ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل . فاذا أنامت فاغسليني أنت وعلى ولا تدخلني على أحدا فلما توفيت جاءت عائشة تدخل . فقالت أسماء لا تدخلني فشكت الى أبي بكر قالت : ان هذه الخنعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فجاء أبو بكر فوقف على الباب . فقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فقالت أمرتني ألا أدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها . قال أبو بكر : فاصنعى ما أمرتك ثم انصرف وغسلها على وأسماء (١) رضى الله عنهما وروى أن فاطمة لما أرثها أسماء النعش تبسمت وما رؤيت متبسمه بعد موت النبي عليه السلام الا يومئذ واتخذ النعش بعد ذلك سنة

قال ابن عبد البر ( فاطمة أول من غطى نعشها من النساء في الاسلام على الصفة المذكورة في الخبر المتقدم ثم بمدّها زينب بنت جحش صنع بها ذلك ) وعلى ذلك فأولية زينب بنت جحش التي حكاهم القلقشندي انما هي بالنسبة لمن عدا فاطمة .

تشيعم الجنازة - فاذا وضعوا الميت على سريره حملوه وساروا به الى

القبر . قال حاتم الطائي

فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ما كان يبني اذا مانعته حملا

وقالت الخنساء ترثي صخر

وقائلة والنفس قد فات خطوها لتدركه يالهف نفسي على صخر

الا نكلت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وكانت تحمل النيران في تشيعم الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الاسلام

(١) منعت الخنفة الزوج من تغسيل زوجته ومسها لا من النظر اليها وأجازته الائمة الثلاثة وحجتهم غسل على لفاطمة واحتج الخنفة بقوله عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع بالموت الا سببي ونسبي مع أن بعض الصحابة أنكر على علي ذلك

عن ذلك لانه من شعار الجاهلية وقال عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة من حديث له رواه مسلم في صحيحه فاذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا على التراب سنا (١) ثم أقيموا حولي قدر ما تنحرج زور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي  
قولهم للجنائزة - كانوا يقومون للجنائزة ويقولون كنت في أهلك ما أنت

مرتين . وشاهده مارواه البخاري في صحيحه بسنده قال أخبرني عمرو أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه أن القاسم كان يمشى بين يدي الجنائزة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة أنها قالت كان أهلك في الجاهلية يقومون لها ويقولون اذا رأوها كنت في أهلك ما أنت مرتين

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري . أى يقولون ذلك مرتين وما موصولة وبعض الصلة محذوف . والتقدير كنت في أهلك الذى كنت فيه . أى الذى أنت فيه الآن كنت في الحياة مثله لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون أن الروح اذا خرجت تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس . ويحتمل أن يكون قولهم هذا دعاء للميت ويحتمل أن تكون ما نافية ولفظ مرتين من تمام الكلام أى لا تكونى في أهلك مرتين المرة الواحدة التى كنت فيهم انتقضت وليست بعائدة اليهم مرة أخرى . ويحتمل أن تكون ما استفهامية أى كنت في أهلك شريفة فأى شئ أنت الآن يقولون ذلك حزنا وتأسفا عليه

مقابرهم - كانوا يحفرون لموتاهم قبورا أو لحودا (١) يدفنونهم بها قال  
 عنبرة العبسى

بالله ما بال الاحبة أعرضت عنا وراحت بالفراق صدودها

رضيت مصاحبة البلى واستوطنت بعد البيوت قبورها ولحودها

وفال حاتم الطائي

(١) سن التراب صبه في سهولة (٢) القبر مدفن الانسان و (اللحود)

جمع اللحد بالفتح والضم وهو الشق يكون في عرض القبر .

أماوى ما يعنى الثراء عن الفتى اذا حشرت يوم ما وضاق بها الصدر  
 اذا أنا دلانى الذين أحبهم بملح..ودة زلخ جوانبها غبر  
 وراحوا سراعا ينفضون أكفهم يقولون قد دى أنا ملنا الحفر  
 ومن القبور ما يبنى ومنه ما يجعل فوقه كومة من التراب وتوضع فوقها  
 الحجارة لتدل على مكان القبر قال طرفة بن العبد

أرى قبر نحام بنخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (١)  
 ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد (٢)  
 وقال لبيد بن ربيعة العامرى

وهل هو الا ما ابتنى فى حياته اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا  
 وقال دريد بن الصمة يرثى معاوية أبا الخنساء لما قتلتها بنو مرة  
 رأيت مكانه فعطقت زورا وأين مكان زور يا ابن بكر  
 الى ارم وأحجار وصير وأغصان من السلمات سمر (٣)  
 وبنيان القبور أتى عليها طوال الدهر من سنة وشهر  
 وقال البرج بن مسهر الطائى

نطوف ما نطوف ثم ياوى ذوو الاموال منا والمديم  
 الى حفر أسافلهم جوف وأعلاهم صفايح مقيم (٤)

وقالت الخنساء من قصيدة ترثى بها صخر  
 فى جوف رمس مقيم قد تضمنه فى رسمه مقمطرات وأحجار (٥)

- (١) النحام البخيل و ( الغوى ) الضال والبطالة ضد العمل (٢) جثوتين  
 تثنية جثوة بالثلاث وهى الكومة من التراب وغيره و ( صفائح ) جمع صفيحة  
 وهى حجارة عراض رقاق و ( منضد ) مجعول بعضه فوق بعض  
 (٣) الارم كغيب العلم و (الصير ) واحده صيرة وهى حظيرة الغنم .  
 (٤) الجوف المظلم من الارض و (الصفائح ) حجارة عراض رقاق  
 (٥) قال أبو عمرو مقمطرات صخور عظام وأحجار صغار

وقال حفص بن الاحنف الكنانى (١)

تفرت قلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدىن وهوب (٢)  
لا تنفرى ياناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٣)  
واذا كان للميت منزلة وشرف بنوا على قبره قبة أو بيتا أو بناء مشرفا  
كأطم من الآطام مباهاة ونغراً وتعظما وزهواً فنهائم النبى صلى الله عليه وسلم  
عن ذلك . وقال عدى بن ربيعة المعروف بالمهلل التغلبى من قصيدة فى رثاء  
كليب أخيه وكانت على قبره قبة رفيعة

سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار  
فسرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار  
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار

ومن ذلك ما رواه الاصبهانى فى الاغانى عن الاصمعى وأبى عبيدة ان  
رجلا من غنى . يقال له قيس الندامى وفد على بعض الملوك . وكان قيس سيدا  
جوادا فلما حفل المجلس . أقبل الملك على من حضره من وفود العرب . وقال  
لاضمن تاجى على أكرم رجل من العرب فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما  
شاء ونادمه مدة ثم أذن له فى الانصراف الى بلده فلما قرب من بلاد طىء  
خرجوا اليه وهم لا يعرفونه فقتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لا ياد له كانت  
فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتا — وقد بنى المنذر الاكبر الغريان وهما منارتان  
على قبرى عمرو بن مسعود وخالد بن فضلة الاسديين . وسنذكر خبرهما  
عند الكلام على العقر — واذا كان الميت من النصرارى وضعوا جثته فى  
صندوق يسمى التابوت ويسمى الاران أيضاً .

(١) فى الاغانى ان هذا الشعر ينسب لحسان بن ثابت وقيل أيضا انه  
لضرار بن الخطاب النهرى . وذكر ان محمد بن سلام قال الصحيح انها لعمرو  
ابن شقيق أحد بنى فهر بن مالك . قال ومن الناس من يروها لكرز بن حفص  
ابن الاحنف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها (٢) الحرة بفتح الحاء أرض  
ذات حجارة نخرة سود (٣) المسعر الذى كانه آله فى ايقاد الحروب

حمى القبر - من عادتهم أن يجعلوا لقبر الشريف حمى لا ينتهك حكي أبو عبيدة عن الحرمازي قال لما مات عامر بن الطفيل نصبت عليه بنو عامر أنصابا ميلا في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش وكان جبار (١) بن سلمى غائبا فلما قدم . مربقبره فقال ماهذه الانصاب . قالوا نصبناها على قبر عامر . فقال ضيقتم على أبي علي وأفضلتم منه فضلا كثيرا ثم وقف على قبره وقال : أنعم صباحا أبا علي . فوالله لقد كنت تشن الغارة وتحمى الجارة سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بايعادك وكننت لا تضد حتى يضل النجم ولا تعطش حتى يعطش البعير ولا تجبن حتى يجبن السيل . وكننت والله خير ما كننت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا .

وعامر بن الطفيل هذا كان سيداً شريفاً ينادى بسوق عكاظ ويقول :  
 هل من راجل فاحمله أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤمنه وقد أدرك الاسلام  
 وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وسادة ثم قال أسلم يا عامر .  
 قال : على ان لي الوبر ولك المدر . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام  
 عامر مغضبا فولى وقال . لاملانها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولا ربطن  
 بكل نخلة فرسأ . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم اهد بني عامر واشغل  
 عنى عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت واني شئت فخرج عامر فأخذته  
 غدة مثل غدة البكر فأوى الى بيت امرأة من بني سلول فجعل يثب وينزو  
 في السماء ويقول : ياموت ابرز لي . غدة مثل غدة البعير وموت في بيت  
 سلولية

نضح القبر بالحمز - كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالحمز قال نصر بن غالب

أصب على قبري كما من مدامة فلا تذوقاها تروثرا كما

وقال حاتم يوصى امرأته بنضح الحمز على قبره

(١) كذا في الكامل للمبرد وفي مجمع الامثال انه حبان بالحاء المهملة آخره

نون ابن سلمى بن عامر بن مالك

أماوى امامت فاسمى بنطقة من الحمر ربا فانضجن بها قبرى  
السقيا للقبر — وكانت العرب تحب نزول المطر على القبور وقد طلبت  
لها السقيا قال النابغة الذبياني من قصيدة يرثى بها النعمان بن الحارث بن  
أبى شمر الغساني

سقى الغيث قبرا بين بصرى وجاسم      بغيث من الوسمى قطر ووابل (١)  
ولا زال ريحان ومسك وعنبر      على منتهاه ديمة ثم هاطل (٢)  
وينبت حوذانا وعرفا منورا      ساتبعه من خير ما قال قائل (٣)  
وقد أوصى المتألمس بذلك فى قوله من قصيدة يرثى بها نفسه

خليلى امامت يوم اوزحزحت      منايا كما فيما يزحزحه الدهر  
فمرا على قبرى فقوموا فساما      وقولا سقاك الغيث والقطر يا قبر  
وفال مهلهل من قصيدة فى رثاء أخيه كليب

أجبنى يا كليب خلاك ذم      لقد فجعت بفارسها نزار  
سقاك الغيث انك كنت غيثا      ويسرا حين يلتمس اليسار

والاشعار فى هذا المعنى كثيرة مستفيضة

وقد اختلف فى سبب استسقاؤهم لها فقال الوزير أبو بكر عاصم بن  
أيوب البطليوسى تدعو العرب للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها فيقصد  
كل من مر بها دعاء لها بالرحمة  
وقال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول عكرشة العبسى من رثاء بنيه  
سقى الله أجدانا ورائى تركتها      بحاضر قنسرين من سبيل القطر

(١) بصرى وجاسم موضعان بالشام و (الوسمى) أول المطر لانه يسيم  
الارض بالنبات (٢) وروى ابن الاعرابى : ريحان ومسك يشيره على  
منتواه . و (يشيره) أى يهيج رائحته ويندكيه و (منتواه) موضع تباعده  
عن الاحياء . ومن روى منتهاه أراد قبره لانه الموضع الذى ينتهى اليه سعى  
الانسان (٣) الحوذان والعرف نباتان الا أن الحوذان اطيب رائحة .  
وقوله (سأبعه من خير ما قال قائل) أى سأثنى عليه بأحسن القول

مضوا لا يريدون ازواج وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر  
 ولو يستطيعون الرواح تروحو ممي وغدوا في المصبحين على ظهر (١)  
 لعمري لقد وارت وضمت قبورهم أ كفاً شداد القبض بالاسل السمر  
 والقصد من طلب السقيا لها أن تبتى عهودها غضة من الدروس طرية لا يتسلط  
 عليها ما يزيل جدتها ونضارتها ألا ترى انه لما أراد الشاعر ضد ذلك قال :

رثاء من قتل من الشهداء يوم موة  
 صلى الأله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل  
 (وقوله وسقى عظامهم الغمام المسبل يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور  
 أحببتنا لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة في البلاد .  
 وقال قاسم بن ثابت في الدلائل فلماذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بموة وليس  
 مهمم وكذلك قول الآخر

سقى مطقيات المحل جودا وديمة عظام ابن ليلى حيث كان رميمها  
 فقوله حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقبياً معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور  
 استرحام لهم لان السقيا رحمة وضدها عذاب )

وكانت العرب تزعم أن المطر يسقى قبر أحد بنى عبد القيس ونسله حكى  
 ابن عبد ربه في كتاب النسب من العقدا الفريد أن رباب بن زيد بن عمرو بن  
 جابر بن ضبيب كان ممن وحد الله في الجاهلية وسأل عنه النبي وفد عبد القيس .  
 وكان يسقى قبر كل من مات من ولده . وفي ذلك يقول الحجين بن عبد الله  
 ومنا الذي بالبعث يعرف نسله اذا مات منهم ميت جيد بالقطر  
 رباب وأنى للبرية كلها بمثل رباب حين يخطر بالسمر  
 وفي المعارف لابن قتيبة (أرباب بن رباب (٢) هو من عبد القيس من شن .  
 وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى

(١) أى لغدوا في صباح اليوم التالي على ظهر الارض ولم يصيروا في بطنها  
 مع الاموات (٢) في السيرة الحلبية تقلا عن ابن قتيبة أن اسمه رباب بن البراء  
 (١٣)

خير أهل الارض ثلاثة رثاب الشنى وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد يريد  
النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن الا رأوا  
طشا على قبره ) والطنش المطر الضعيف  
العقر على القبر ونضح بالدماء - كانوا يعقرون (١) على قبر العظيم أو السيد

الشريف الخليل او النوق وبنضحون القبر بدمائها . وقد ذكر سبب عقرم الابل  
ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد فقال « واختلف فى سبب عقرم الابل على  
القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقر من  
الابل فى حياته وينحره للاضياف واحتجوا بقول زياد الاعجم

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخادم وذبايح

وقد قال قوم انما كانوا يفعلون ذلك اعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام  
وقيل انما كانوا يفعلونه لان الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فسكانهم  
ينأرون لهم منها . وقيل ان الابل أنفس أموالهم فسكانهم يريدون بذلك انها  
قد هانت عليهم لمظم المصيبة « نقل ذلك عنه البغدادى فى خزنة الادب .  
والشواهد على عقر الابل والخليل كثيرة من ذلك ما حكاه المبرد فى الكامل  
أن رجلا عربياً وقف على قبر النجاشى فترحم . وقال : لولا أن القول لا يحيط  
بما فىك والوصف يقصر دونك لا طنبت بل لاسهبت ثم عقرت ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشى ناقتى بابيض غضب أخلصته صياقله

على قبر من لو اننى مت قبله هانت عليه عند قبرى رواحله

وقال حريبة بن الاشيم الفقعسى يوصى ابنه بأن يعقر على قبره

اذا مت فادفننى بجداء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب

فان انت لم تعقر على مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب (٢)

ولا تدفننى فى سوى وادفننى بديمومة تنزو عليها الجنادب (٣)

(١) عقر البعير بالسيف عقرا من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق  
العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح (٢) يدعو عليه  
بفقد ما يحلب من الشاء والابل اذا لم يعقر مطيته (٣) الصوى جمع صوة بضم

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وقد ذكرت في مجموعي المسمى بالعبرى الحسان ان أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الايات واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية وقلت انه وهم في ذلك وانه ليس في هذه الايات دلالة على هذا المعنى ولا طهارة تعلق وانما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعثور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور . ثم قال ومذهبهم في العقر على القبور مشهور وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية فان ظن ظان ان قوله أو يفوز راكب فيه ايعاء الى ذلك فليس الامر كما ظنه ومعنى البيت ادقنى بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها الا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة سموها مفازة على طريق الغال وقيل انها تسمى مفازة من فوز أي هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالع اخطأ في ايراده في هذا الباب كما اخطأ في هذا الباب أيضا في ايراده قول مالك بن الربيع

وعطل قفوصى في الركاب فانها ستبردا كبادا وتبكي بواكيا  
 فظن أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ولم يرد الشاعر ذلك وانما أراد  
 لا تركبوا راحلتى بعدى وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادى وأصادقى ذاهبة  
 جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق

ومن العقر على القبور ما ذكره أبو علي القالي في الامالى قال لما مات عمرو  
 ابن حمزة الدوسي وكان أحد من يتحاكم اليه العرب مر بقبره ثلاثة نفر من أهل  
 يثرب قادمين من الشام الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم  
 ابن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعتيك بن قيس بن هيشة  
 ابن أمية بن معاوية وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب  
 فمقروا رواحلتهم على قبره وقام الهدم فقال

---

الصاد وهو ما غلظ وارتفع من الارض و (الديمومة) الفلاة الواسعة  
 و (نزو) تذب و (الجنذب) الجراد جمعه جنادب

لقد ضمت الاثراء منك مرزاً  
 حليم اذا ما الحلم كان حزامه  
 اذا قلت لم تترك مقالا لقائل  
 ليبيك من كانت حياتك عزه  
 سقى الارض ذات الطول والعرض مثجم  
 وما بي سقيا الارض لكن تربة  
 وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم الملا والجود والمجد والندى  
 لقد غال صرف الدهر منك مرزاً  
 يضم العفاة الطارقين فناؤه  
 ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمه  
 ويستهمز الجيش المرسم باسمه  
 وينقاد ذو البأو الابى لحكمه  
 ويمضى اذا ما الحرب مد رواقه  
 فأما تصبنا الحادثات بنكبة  
 طواك الردى ياخير حاف وناعل  
 نهوضا بأعباء الامور الاثاقل  
 كما ضم أم الرأس شعب القبائل (٥)  
 كما كشف الصبح أطراق الفياطل (٦)  
 وان كان جرارا كثير الصواهل  
 فيرتد قسراً وهو جم الدغاؤل (٧)  
 على الروع ورفضت صدور العوامل (٨)  
 رمتك بها احدى الدواهي الضآبل (٩)

(١) الاثراء جمع الثرى وهو التراب الندى و ( الرزيئة : المصيبة كالرزة  
 (٢) الحزامه والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٣) الصغر خلاف العظم  
 (٤) مثجم أى سحاب سريع المطر مديمه و ( الاحم ) الاسود من كل شئ  
 و(الرحى ) وسط النجم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها (٥) العافى الرائد  
 والوارد والضيف وكل طالب فضل أو رزق و ( قبائل الرأس ) واحده قبيلة  
 للقطع المشعوب بعضها الى بعض (٦) يسرو يكشف و ( الدجى ) الظلمة و ( الهيجا )  
 الحرب و ( اطراق ) اطرق الليل ركب بعضه فوق بعض و ( الفيطة ) الظلمة أو  
 اختلاط الاصوات وقال ابن الاعرابى هي التفاف الناس واجتماعهم (٧) البأو  
 الفخر و ( الدغاؤل ) الدواهي (٨) الروع الفزع و ( ارفضت ) سالت و ( عامل )  
 الرمح و عاملته صدره (٩) الضآبل الدواهي واحدها ضآبل

- فلا تبعدن ان الختوف موارد      وكل فتى من صرفها غير وائل (١)  
وقام حاطب بن قيس فقال :  
سلام على القبر الذى ضم أعظما      تحوم المعالي حوله فتسلم  
سلام عليه كلما ذر شارق      وما امتد قطع من دجى الليل مظلم (٢)  
فيا قبر عمرو جاد أرضا تعطفت      عليك ملك دائم القطر مرزم (٣)  
تضمنت جسما طاب حيا وميتا      فأنت بما ضمننت فى الارض معلم  
فلو نطقت أرض لقال تراها      الى قبر عمرو الازد حل التكرم  
الى مرمر قد حل بين ترابه      وأحجاره بدر وأضبط ضيفم (٤)  
فلو وألت من سطوة الموت مهجة      لكنت ولكن الردى لا يشتم (٥)  
فلا يبعدنك الله حيا وميتا      فقد كنت نور الخطب والخطب مظلم  
وقد كنت تمضى الحكم غير مهلل      اذا غال فى القول الابل الغشمشم (٦)  
لمرو الذى حطت اليه على الونا      حداير عوج نيبا متهم (٧)  
لقد هدم العلياء موتك جانبا      وكان قديما ركنها لا يهدم

ومن المقر على القبور فى الجاهلية عقر المنذر الاكبر على قبر عمرو بن مسعود  
وخالد بن فضلة الاسديين الابل والحيل وطلاهما بالدماء . وقد بنى على قبرهما  
الغريان (٨) روى انهما كانا يقدان على المنذر الاكبر فى كل سنة فيقيبان  
عنده وينادمانه وكانت اسد وغطقان لا يدينون للملوك ويفيرون عليهم فوفدا  
سنة من السنين فقال المنذر لخالد يوما وهم على الشراب يا خالد من ربك فقال

- (١) الوائل طالب النجاة (٢) ذر طلع (٣) الملت السحاب الدائم المطر ( والمرزم )  
الرعد الشديد صوته (٤) المرمر القبر (الاضبط والضيفم) اسمان للاسد  
(٥) وألت نجت ويشتم يبطن ويشتم بمحرك ويدفع (٦) المهلل المتوقف يقال  
حمل عليه فما هلل و (الابل) الظلوم و (الغشمشم) الذى يركب رأسه ولا يثنيه  
شىء مما يحب ويهوى (٧) الحداير جمع حد باروهى المنحنية الظهر (والنى) الشحم  
و (المتهم) الذائب (٨) فى القاموس القرى كفى البناء الجيد ومنه الغريان بناء ان  
مشهور ان بالكوفة .

خالد عمرو بن مسعود ربي وربك فامسك عنهما ثم قال لهما ما يمنعكما من  
الدخول في طاعتي وان تدنوا مني كما دت تميم وربيعة فقالا أبيت اللعن هذه  
البلاد لا تلائم مواشينا ونحن مع هذا قريب منك بهذا الرمل فاذا شئت  
أجبتناك فعلم انهما لا يدخلان في حكمه فأوحى الى الساقى فسقاها سما فانصرفا  
من عنده بالسكر على خلاف ما كانا ينصرفان فلما كان في بعض الليل أحس  
حبيب بن خالد بالامر لما رأى من شدة سكرهما فنادى خالدا فلم يجبه فقام  
اليه فحركه فسقط بعض جسده وفعل بعمره مثل ذلك فكان حاله كحال  
وأصبح المنذر نادماً على قتلها فغدا عليه حبيب بن خالد فقال أبيت اللعن  
أسعدك الامل نديماك وخليلاك تتابعا في ساعة واحدة فقال له يا حبيب  
أعلى الموت تستعديني وهل ترى الا ابن ميت وأخا ميت ثم أمر فحفر لهما  
قبران بظاهر الكوفة فدفنا فيهما وبني عليهما منارتين فهما الغريبان وعقر على  
قبر كل خمسين فرسا وخمسين بعيرا وغرهما بدمائهما وجعل يوم نادمهما يوم  
نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس

ومن هذا الباب أيضاً ما حكاه الاصبهاني في الاغانى أن حسان بن ثابت

لما مر بقبر ربيعة بن مكدم قال يعتذر لعدم عقر ناقته على قبره

لا يبعذن ربيعة بن مكدم      وسقى الغواذى قبره بذنوب (١)

نفرت قلوبى من حجارة حرة      بنيت على طلق اليدبن وهوب

لا تنفرى ياناق منه فانه      شريب خمر مسعر لحروب (٢)

لولا السفر وبعد قفر مهمه      تركتها تحبوعلى عرقوب (٣)

(١) هذا الشعر نسبة أبو تمام في الحماسة لخص بن الاحنف الكنانى  
وقدمنا انما من تنسب له هذه الابيات أيضاً و (الذنوب) الدلو العظيمة  
وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء وقد استعاره للغيث . وربما  
جعل الذنوب في الحظ والنصيب (٢) المسعر الذى كانه آلة في أسعار الحرب  
(٣) المهمه المفازة . و (الخبو) الزحف قبل القيام ويفعله البعير  
المعقول وهو يريد المشى و (العرقوب) من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى

فبلغ شعره بنى كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا اليه الف ناقة سود الحدق  
ولا عبرة لقول ابن عبد ربه في العقد الفريد « كان يعقر على قبر ربيعة بن  
مكدم في الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره » لما قدمناه ومنه يظهر ان العقر  
من سنن الجاهلية وعاداتهم المستفيضة ولمشابهته القربان الذي يقدم للاصنام  
نهى عليه الصلاة والسلام عنه بقوله لا عقر الاسلام ولتأصل هذه العادة من  
نفوس العرب لم يجتنبها بعضهم في الاسلام وشاهده قول أبي عمر وهلال بن  
العلاء الرقي (وعقر في الجاهلية على قبر ربيعة بن مكدم) وفي الاسلام على قبر  
المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبي ثور، وقال زياد الاعجم يروى المغيرة  
ابن المهلب بن أبي صفرة

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمجد الرائح (١)

ان السباحة والمروءة ضمنا قبرا بمرور على الطريق الواضح

فاذا سررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف ساجح (٢)

وانضج جوانب قبره بدمائها فلتقد يكون اخدام وذبايح (٣)

يروي ان زيادا الاعجم أنشد المهلب هذه القصيدة فلما أتى على قوله

فاذا سررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف ساجح

قال له مهلا عقرت عليه يا أبا امامة فرسك قال اني كنت على مقرف ولو

يديها وقوله ( تحبو على عرقوب ) كناية عن الذبح لان العرب كانوا

يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال أبو طالب

ضرب بنصل السيف سوق سمائها اذا عدموا زادا فانك عاقر

(١) روى أبو الحسن . والغزى اذا غزوا و ( القوافل ) جمع قافلة وهي

الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها و ( الغزاة ) جمع غاز

(٢) عقر البعير اذا ضرب بالسيف قوائمه و ( الكوم ) بالضم جمع

كوما بالفتح والمد الناقة السمينة و ( الجلاد ) جمع جلدة وهي أدمم الابل

لبنا و ( الطرف ) بكسر الطاء الاصيل من الخيل و ( ساجح ) جار بقوة ويروي

كل طرف طامح (٣) النضح الرش القليل

كنت على عتيق ( ١ ) لفعلت فاستحسن قوله وقال لمن حضره من واده  
ومواليه لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيله فانصرف بمدة افراس  
ومن ذلك قول الفرزدق يرثي بشر بن مروان ويزعم انه عقر فرسه على  
قبره من قصيدة أولها

أعيني الا تسعداني المكما وما بعد بشر من عزاء ولا صبر (٢)  
وقل جداء عبرة تسفحانها على انها تشفى الحرارة في الصدر (٣)  
ولو أن قوما قاتلوا الموت قبلنا بشيء لقاتلت المنية عن بشر  
الى أن قال في عقر فرسه

أقول لمحبوك السراة كأنه من الخيل مجنوب الاطاقة والخصر (٤)  
أغر صريحاً أبوه وأمه طويل أمراًته الجياد على شزر (٥)  
أصل عندى بعد بشر ولم تذق ذكورة قطاع الضريبة ذى أثر (٦)  
غضبت ولم أملك لبشر بصارم على فـرس عند الجنازة والقبر (٧)  
حلقت له لا يتبع الخيل بعدها صحيح الشوى حتى تكوس من العقر (٨)  
أنت شجياً أن ركبتيك بعدها ليوم رهان أو غدوت ممي تجرى  
وقال أبو عبيدة دعوى الفرزدق أنه عقر فرسه على بشر بن مروان كذب  
( كانوا ) يطعمون ما يقر للفقراء والمساكين

وقد أحسن بعض المحدثين في هذا المعنى فقال

( ١ ) المقرف من الفرس وغيره من أمه عربية لا أبوه والفرس (العتيق)  
الكريم ( ٢ ) أسعده الله أعانه ( ٣ ) الجداء الثواب ( ٤ ) محبوك  
السراة قوى الظهر ( ٥ ) الصريح فرس عبد بنغوث بن حرب وآخر لبني  
نهشل وآخر للخم ( ٦ ) أمراًته ( ٧ ) فتلته ( ٨ ) الشذر ( ٩ ) قتل الجبل عن اليسار والمعنى  
ان آباءه أورثته القوة ( ٦ ) المذكر من السيوف ذو الماء ( ٧ ) الضريبة  
حد السيف ( ٨ ) فرند السيف وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل  
( ٧ ) الجنازة الميت ( ٨ ) الشوى اليدان والرجلان والاطراف ( ٩ ) كاس  
البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب

أياها الناعيان من تنميان وعلى من أراكا تبكيان  
 اندبا الماجد الكريم أبا اسحاق رب المعروف والاحسان  
 واذهابي ان لم يكن لك ماعة — ر الى جنب قبره فاعقراني  
 وانضجا من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

العقر للضيافة نيابة عن الميت — كما كانوا يعقرون الابل والخيول عند نزول  
 الموت أشعارا بأن أنفس أموالهم هانت عليهم لعظم المصيبة كانوا يعقرون  
 عند القبر اذا صروا به نيابة عن الميت في قرى الضيفان قال التبريزي في شرح  
 الحماسة عند قول حسان بن ثابت

لولا السفار وبعد قبر مهمه لتركها تحبو على عرقوب

كانت المادة في العرب ان الواحد اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى  
 للاضياف ينحروا رحلته ويطعمها للناس اذا أعوز الزاد ولم يتسع يفعل ذلك  
 نيابة عنه الا أن يمنع مانع من بعد سفر أو ما يجري مجراه فصار هذا  
 يعتذر من ابقائه على رحلته . وقال في شرح قول جرير يرثي قيس بن ضرار  
 ابن القعقاع

وحقّ لقيس أن يباح له الحمى وأن تعقر الوجناء أن خف زادها

كان الواحد منهم اذا مر بقبر رئيس وهو في صحبة أحب أن ينوب عن  
 المقبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته  
 اكراما لذلك قال : وان تعقر الوجناء ان خف زادها — ثم قال وذكر النمرى ما  
 يشبه هذا ورد عليه أبو محمد الاعرابي فقال ان قوله وان تعقر الوجناء ان خف  
 زادها مثل قول سعيد بن العاص بن أمية يرثي هشام بن المعيرة

ألا هلك المأمول وهو نجيب ومن هو زاد الركب حين يؤوب

فان لم يكن زاد فان قصاره من المفهرات صعبة وركوب

ومن العقر على القبر للقري ما ذكره المبرد في الكامل عن لهدم مكاتب لبني  
 منقر حين ظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن  
 في عمامته ثم أتى الفرزدق فأنشده

بقبر ابن ليلي غالب عدت بعد ما خشيت الردى او ان أود على قسر  
 بقبر امرىء تقرى المثين عظامه ولم يك الا غالباً ميت . يقرى  
 فقال لى استقدم أمامك انما فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر  
 قال المبرد يريد بقوله تقرى المثين عظامه انهم كانوا ينحرون الابل عند  
 قبور عظامهم فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات وهذا معروف فى أشعارهم  
 اتخاذ البلية - وقد كان من مذهبهم فى الجاهلية اتخاذ البلية وهى ناقة  
 تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعاً وعطشاً

وذكر البلية مطرود بن كعب الخزاعى من قصيدة يرثى بها المطلب وبنى  
 عبد مناف جميعاً حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف فى قوله

يا عين فابكى أبا الشمت الشجيات بيكينه حسراً مثل البليات (١)

بيكين أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات  
 وقد بين مذهبهم فى ذلك ابن أبى الحديد فقال «والبلية انهم اذا مات منهم كريم  
 بلوا ناقته أو بعيره فمكسوا عنقها وأداروا رأسها الى مؤخرها وتركوها فى  
 حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت  
 وملئ جلدتها ثاماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبيل عليه حشر ماشياً ومن  
 كانت له بلية حشر راكباً على بليته ، وقد ذكر القلقشندى فى صبح  
 الاعشى «أن العرب كانت تشد ناقة الميت الى قبره ويقبلون برأسها الى ورائها  
 ويغطون رأسها بولية وهى البرذعة فاذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى .  
 ويزعمون انهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه فى المعاد ليركبها » . وقد قال أبو يزيد  
 فى تشبيه رجال بالبلايا

كالبلايا رهوسها فى الولايا مانحات السموم خرز الحدود

والولايا البراذع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك الناقة  
 وقال الشهرستانى كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلى  
 ظهرها أو مما يلى كلكها أو بطنها ويأخذون بولية فيشدون وسطها ويقلدون

البليات جمع بلية

عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر .  
ولا يتخذ البلية من لا يؤمن بالبعث . وقال حريبة بن الاشيم الفقعسي  
يوصى ابنه بالبلية .

يا سمد أما اهلكن فأنى أوصيك ان أخوا الوصاة الاقرب  
لا تتركن أباك يسمي خلفهم تعباً يخر على اليدين وينسكب (١)  
واحمل أباك على بعير صالح يوم القيامة ان ذلك أصوب (٢)  
ولعل لي مما جمعت مطية في الحشر أركبها اذا قيل اركبوا  
وقال عويمر النبهاني يوصى ابنه أيضا

أبني لا تنس البلية انها لا ييك يوم نشوره مركوب  
وقال عمرو بن زيد المتعنى يوصى ابنه عند موته بالبلية .

أبني زودني اذا فارقتني في القبر راحلة رحل قاتر (٣)  
للبعث أركبها اذا قيل اظنوا (٤) مستوثقين معا لحشر الحاشر  
من لا يوافق على عثراته فانخلق بين مدفع أو عائر  
وقال أبو العلاء المعري في رسالة الغفران (وقد كانوا في الجاهلية يكسعون  
ناقة الميت على قبره ويزعمون انه اذا نهض لحشره وجدها قد بعثت له فيركبها  
فليته لا يهض بثقله منسكبها وهيئات بل حشروا عراة حفاة)  
قولهم للميت لا بعد - كان من عادتهم الدعاء للميت بقولهم لا تبعد  
وقد كثرت أشعارهم في هذا . قال أعشى بأهله من فصيحة في رثاء المنتشر بن  
وهب الباهلي

- 
- (١) في رواية : لا أعرفن أباك يحشر خلفكم . وفي رواية الخطائي  
لا تتركن أباك يحشر مرة عدوا يخر على اليدين وينسكب  
(٢) رواية . وتق الخطيئة انه هو أصوب (٣) القاتر من الرحال أو  
السروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها الذي يقي الظهر ولا يعقره  
(٤) رواية للبعث أركبها اذا قيل اركبوا

فأذهب فلا يبعدنك الله منتشر أما سلكت سبيلا كنت سالكها (١)  
 وقالت أم عمرو ترى ربيعة أباها  
 فأذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقى التي كل حى مثلها لاقى  
 وقالت الخنساء من رثاء ل أخيها  
 اذهب فلا يبعدنك الله من رجل دراك ضم وطلاب بأوتار  
 وقال السموءل

يا ليت شعري حين أندب هالكا ماذا يؤبذنى به أنواحى  
 أيقظن لا تبعد فرب كريمة فرجتها بيسارة وسماح  
 وقال مخارق بن شهاب أحد بنى خزاعي بن مالك بن عمرو بن تميم  
 كم شامت بى ان هلكت وقائل لا يبعدن مخارق بن شهاب  
 المشتري حسن الثناء بماله والمالي الجففات للاصحاب  
 وقد قصدوا بقاء الذكركما قصد الشنفرى فى قوله وقد قطع يده من أسره  
 لا تبعدى اما ذهبت شامه فرب واد نقرت حمامه  
 ورب قرن فصلت عظامه

وقال عبد القادر البغدادي فى خزانة الادب ولب لباب لسان العرب عند  
 قول الخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد  
 الضبمى وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشرجيل ومن قتل معه من  
 قومه فى يوم قلاب

لا يبعدن قومي الدين هم سم المداء وآفة الجزر (٢)

(١) يقال بعد بمد من باب فرح فرحا اذا هلك (٢) السم سينه  
 مثلثة و( المداء ) الاعداء جمع عادٍ و( الآفة ) العلة و( الجزر ) بضم فسكون  
 جمع جزور والاصل بضمين كرسول ورسل فسكن الثانى تخفيفا والجزور هى  
 الناقة التى تنحر فان كانت من الفم فهى جزرة بفتحين - وصفتهم (أولا)  
 بالشجاعة والنجدة وانهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم و( ثانيا ) بالكرم  
 ونحر الأبل للاضياف فكانهم آفة للابل تصيبها فتهلكها

النازليين بكل معترك والطيبون معاقد الازر (١)  
 وقال ابن السيد في شرح أبيات الجمل فان قيل كيف دعت لقومها بالآ  
 يهلكوا وهم قد هلكوا فالجواب ان العرب قد جرت عادتهم باستعمال  
 هذه اللفظة في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان ( احدهما ) انهم يريدون به  
 استعظام موت الرجل الجليل . وكانهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى  
 زهير بن أبي سلمى بقوله

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بمحصن والجبال جنوح  
 ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والاديم صحيح  
 يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف  
 يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها  
 وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث و( الغرض الثاني ) انهم يريدون الدعاء  
 له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته  
 ألا ترى الى قول الشاعر

فائنوا علينا لا أبا لا بيكم بافعالنا ان الشاء هو الخلد

وقال آخر يرثي يزيد بن يزيد الشيباني

فان تك أفنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى الليالي

وقد بين مالك بن الرب المزني ما في هذا المعنى من المحال فقال من قصيدة

يقولون لا تبعد وهم يدفنوني وأبن مكان البعد الا مكانيا

هذا وعن لم يجد في هذا المعنى غناء الضرار السلمي فقال

وكتيبة فرجتها بكتيبة حتى اذا التبتت تقضت بها يدي

(١) تعنى بقولها ( النازليين بكل معترك ) انهم ينزلون عن الخيل عند ضيق

المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفي ذلك الوقت يتداعون نزال وتعنى بقولها

( والطيبون معاقد الازر ) انهم اعفاء في فروجهم لان العرب تكنى بالشيء

عما يحويه أو يشتمل عليه و( المعاهد ) اما جمع معقد بكسر القاف وهو موضع

العقد واما جمع معقد بفتح القاف وهو مصدر ميمي قال اللخمي ( المعاهد ) الحجز

ما كان ينفعنى مقال نساءهم وقتلت دون رجالهم لا تبعد (١)

ومثله قول الشاعر

يقولون لا تبعدون يك مسدلاً على وجهه ستر من الارض يبعد

وقال فراد بن غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان

ألا ليت بشمرى ما يقولن مخارق إذا جاب الهام المصيح هامتى (٢)

ودليت في زوراء يسنى ترابها على طويلا في ذراها اقامتى (٣)

وقالوا ألا لا يبعدن اختياله وصولته إذا القروم تسامت (٤)

وما البعد الا أن يكون منيباً عن الناس منى نجدتى وقسامتى (٥)

### معتقداتهم الدينية

نبدأ هذا الفصل باعتقادهم في الله تعالى فنقول : قد آمن به أصحاب  
الاديان السماوية من العرب كما آمن به عبدة الاوثان منهم وانما حجوا للاصنام  
وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور زعماً منهم أنها تشفع لهم عند الله فقالوا  
مانعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى . قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات

والحجزة هي حيث يثنى طرف الازار في لوث الازار أى طيه و (الازر) جمع  
ازار وسكن تحفيقا والاصل ضمها والازار عند العرب ماستر النصف الاسفل  
من الانسان والرداء ماستر النصف الاعلى منه والعرب لا تكاد تلبس الا  
الازر . وليس السراويل عندهم نادر . يروى ان اعرابيا مرّ بسراويل ملقاة  
فظنها قميصا فادخل يديه في ساقها وأدخل رأسه فلم يجد منفذا . فقال ما أظن  
هذا الا من قص الشياطين (١) في رواية : وقتلت بين (٢) معنى البيت جاب  
صداه صداهم على عادتهم فيما كانوا يقولون أن عظام الموتى تصير اصداء وهاماً  
(٣) أى أرسلت في حفرة معوجة يعنى اللحد و (يسنى ترابها)  
أى يهال ترابها على (٤) اختياله أدلاله وتجبره و (القروم) الفحول ويريد  
بتسامت القروم تنازلت (٥) القسامة الحسن و يروى مكانها بسالتى  
أى نجدتى وشجاعتى

والارض ليقولن الله . فكان كفرهم بخضوعهم لها الخضوع التام واحترامهم اياها اعظم الاحترام لان الله خص نفسه بغاية التعظيم ولم يرز الوساطة بينه وبين عباده لانه قريب يجيب دعوة الداع اذا دعاه وهو اقرب اليه من جبل الوريد ومن العرب من انكر وجود الله . وحكى الشهرستاني مذهبهم فقال : ( وصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدمر المفنى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر . اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى : أولم يتفكروا ما يصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض . وقال أولم ينظروا الى ما خلق الله . وقال يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم فثبتت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة )

الانبياء والرسل الكرام - قد آمن كل أهل دين سماوى بالانبياء والمرسلين الذين ذكرهم نبيهم أو أخبر عنهم كتابهم . اما الدهريون الذين أنكروا الخالق فأنكروا الانبياء والمرسلين كما أنكرهم عباد الاصنام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الشهرستاني ( وكان انكارهم لبعث الرسول فى الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدوننا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتى ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفييع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الاصاب المنصوبة اما الأئمة والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التى هى الوسائل )

البعث والحساب - اختلف اعتقاد العرب في البعث اختلافا كثيرا فأكثروا عباد الاصنام الذين تقربوا لله بعبادتها أنكروا بعث الاجساد مع اقرارهم بالخلق وابتداء الخلق والابداع - فقالوا ( انذا متنا وكنا ترابا وعظاما اننا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون ) وقال تعالى فيهم ( وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم - وقد استدلل الله تعالى عليهم بالنشأة الاولى لاعترافهم بها فقال ( قل يحييها الذي انشاها اول مرة ) وقال ( أفمبيننا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ) ومن أشعارهم الدالة على انكار البعث قول بعضهم

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يأأم عمرو  
وقال شداد بن الاسود الليثي يرثي قتلى بدر من المشركين ويتهمكم بما أنزل

على سيدنا محمد

ألا من مبلغ الرحمن عني بأني تارك شهر الصيام  
إذا ما الرأس زايل منكبيه فقد شبع الانيس من الطعام  
أبوعدنا ابن كبشة أن سنجيا وكيف حياة اصداء وهام (١)  
أترك ان ترد الموت عني وتحييني اذا بليت عظامي

ومنهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعرض الاعمال يومئذ للحساب بقية فيهم من الاديان السماوية وقال أعشى قيس في ذلك

فأأيلى على هيكل بناه وصب فيه وصارا (٢)  
يرواح من صلوات الملب لك طور اسجودا وطور اجوارا (٣)  
بأعظم منك تقى في الحساب اذا النسمة تقض القبارا (٤)

وقال حاتم الطائي في البعث واستئناره تعالى بعلم الغيب

اما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيى العظام البيض وهي رميم

(١) يريد بان كبشة سيدنا محمد رسول الله (٢) الايبلى الراهب و(المهيكل)

بيت النصرى فيه صورة مريم وديرهم و(صلب) اتخذ صليبا (٣) الجوار

رفع الصوت بالدعاء (٤) النسمة الانسان جمعه نسمة

تقد كنت أطوى البطن والزايشتهى محافظة من أن يقال لئيم  
وقال حاتم أيضا

وانى وان طال الثواء لميت ويعظمنى ماوى بيت مستف (١)  
ونى لمجزي بما أنا كاسب وكل امرئ كسب بما هو متلف  
وقال قس بن ساعدة الايادى فى البعث وكان ممن يعتقد التوحيد  
يا باكى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق  
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصمق  
حتى يحيئوا بحال غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعمده خلقوا  
منهم عراة وموتى فى ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق  
وهو القائل فى وصية له : كلا ورب السكبة ليعودن ما باد ولئن ذهب  
ليعودن يوما . وقال زيد بن عمرو بن نفيل .

فلن تكون لنفسى منك واقية يوم الحساب اذا ما يجمع البشر  
وقال علاان بن شهاب التميمى

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الاعمال

ومن المؤمنين بالبعث عبد الله بن تغلب بن وبرة وعبيد المطلب بن هاشم وكان  
يقول : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه الى أن هلك رجل  
ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقييل له فى ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء  
هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب بأساءته . ومنهم  
عامر بن الظرب المدوانى حكيم العرب القائل من وصية له : انى مارأيت شيئا  
قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ولا جائيا الا ذاهبا ولو كان  
يميت الناس الداء لحياتم الدواء . ثم قال انى أرى أموراشتى وحتى قيل له  
وما حتى . قال : حتى يرجع الميت حيا ويعود ما ليس بشىء شيئا ولذلك خلقت  
السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين . فقال : ويل أمها نصيحة لو كاذمن يقبلها  
كتابة الاعمال — اعتقد بعضهم بكتابة الاعمال فى هذه الدار وعرضها

(١) يعظمنى من عظمه عظمة ضرب عظامه وفى رواية : يضظمنى

يوم للبعث . فهذا زهير بن أبي سلمى كان يمر بالعضاه وقد أورقت بعد ما ينبت  
 فيقول ( لولا أن يسبني العرب لآمنت بان الذي أحيا الارض بعد يبسا  
 سيحي العظام وهي رميم ) أى لاعلنت هذا المعتقد ثم جهر به فقال :  
 فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم  
 يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم  
 ومعنى البيتين ان الله لا يخفى عليه خافية فلا تضمروا القدر فيرقه الله  
 فى كتاب ويؤخر العقاب ليوم الحساب او يعجله فى الدنيا فينتقم من  
 الغادر .

الايان بالقدر - كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الله قدر جميع الممكنات  
 من خير أو شر قبل خلقها . قال الحسن البصرى لم يزل أهل الجاهلية يذكرون  
 القدر فى خطبهم وأشعارهم . وجاء الاسلام فزاد هذه العقيدة تأكيداً . وعن  
 سميد بن أبى عروبة قال : سألت قتادة عن القدر . فقال رأى العرب تريد أم  
 رأى العجم : فقلت رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو  
 يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة الا كتاباً قد خلا مسطورا  
 ومن الايمان بالقدر قول لبيد بن ربيعة العامرى فى معلقته  
 فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علاها  
 وقال النابغة :

وليس امرؤ نائلاً من هواه شيئاً اذا هو لم يكتب

خالق أفعال الانسان - اختلف المتكلمون فى الموجد لأفعال الانسان  
 الاختيارية فقالت المعتزلة خلقها الانسان وحده وقالت الجبرية بل خلقها الله  
 وهذا الاختلاف مسبوق بالخلاف فيها عند العرب فى الجاهلية . وتوسط أهل  
 السنة فقالوا بوجود الجزء الاختيارى للانسان فى أفعاله

وحكى الحشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام خلافتهم فى الجاهلية فقال :  
 شاعران من فحول الجاهلية ذهب احدهما فى شعره مذهب العدلية والآخر مذهب

الجبرية فالذي ذهب مذهب المدلية أعشى بكر حيث يقول  
استأثر الله بالوفاء وبالعدل ل وولى الملامة الرجلا  
والذي ذهب مذهب الجبرية لبيد بن ربيعة العامري حيث يقول  
ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل (١)  
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل  
وذكر صاحب الاغانى أن أعشى بكر أخذ مذهبه من أساقفة نجران وكان  
يعود فى كل سنة الى عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم  
وينادهمهم . ويسمع من اساقفة نجران قولهم فكل شئ فى شعره من هذا  
فمنهم أخذه

التناسخ - هو وصول روح اذا فارق البدن الى جنين قابل للروح .  
وافترق القائلون به على فرقتين ( الاولى ) تحيز انتقال الروح لجسد ولو لم يكن  
من نوع الجسد الذى فارقت اذ ليس انتقالها الى نوعها أولى من انتقالها الى  
غير نوعها . والتناسخ عندهم على سبيل المقاب والثواب فالتناسق تنتقل روحه

### ( ١ ) النفل محرمة الثنيمة والهبة و ( الريث ) الابطاه كالثريت

قال السيد « ان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان  
البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك . واما قوله . وبأذن الله ريثى والمجل .  
فيحتمل ان يريد باذنه علمه كما يتأول عليه قوله تعالى « وما هم بضارين به من  
أحد الا باذن الله » أى بعلمه وان قيل فى هذه الآية انه أراد بتخليته وتمكينه .  
وان كان لا شاهد لذلك فى اللغة أمكن مثله فى قول لبيد . وأما قوله من  
هداه سبل الخير فيحتمل أن يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتأول  
عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار  
اللهم الا أن يكون مذهب لبيد فى الاجبار معروفا بغير هذه الايات فلا  
تأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه «  
زاد بعضهم بين بيتى لبيد قوله

أحمد الله فلاند له بيديه الخير ما شاء فعل

الى اجساد البهائم المسخرة للاعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو المرتظمة في الاقذار و ( الثانية ) تمنع انتقال الروح لجسد يفاير نوع الجسد الذي فارقته لان النوع الذي أوجب لها طبيعها الاشراف عليه والتعلق به لا يجوز ان تتعلق بغيره والتناسخ مذهب قديم قال به أهل الهند والعرب في الجاهلية قال ابن أبي الحديد : وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح في الاجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة (١)

وقدمنا آنفا عند قولهم للجنابة كنت في أهلك ما أنت مرتين عن ابن حجر أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون ان الروح اذا خرجت تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس ولقد خالف بعض المسلمين الاجماع فأجاز انتقال الروح لجسد من نوع الجسد الذي فارقته أو من غير نوعه ومن هؤلاء احمد بن حابط و احمد بن ناتوس تلميذه وأبو مسلم الخراساني ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب وهو قول القرامطة وأكثر جماعة الشيعة وقال رجل من النصيرية

اعجبي امنا لصرف الليالي جعلت اختنا سكينه فاره

فازجري هذه السنانير عنها واركبها وما تضم الغراره

المسح - تحويل الصورة الى صورة هي دونها قال الجاحظ قلت لعبيد

الكلابي وكان مشغولا بالابل أبينكم وبين الابل قرابة قال نعم خؤوله فقلت مسحك الله بعيرا فقال ان الله لا يمسح انسانا على صورة كريم بل لثيم . وينكر المسح أكثر الدهرية وأهل الكتاب لم يقرؤا به غير أنهم أجمعوا على أن الله جعل امرأة لوط حجرا والمسلمون على جوازه لامكانه ووقوعه قال تعالى ( فلما

(١) قال الشهرستاني في الملل ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا

مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا أنكر الرسول عليهم فقال لا هامة ولا عدوى ولا صفر) وانت خبير بأن هذا ليس من التناسخ الذي هو وصول الروح عند

مفارقة البدن لجسم جنين

عتوا عما نهبوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ( أما اعتقاد مسخ شيء معين فتوقف على ورود النص

وكانت العرب في الجاهلية تعتقد وقوع المسخ فزعموا أن عشارين مسخ أحدهما ضبعاً والآخر ذئباً وزعموا أن سهيلاً كان عشاراً وأن الزهرة كانت امرأة اسمها اناهيد فسحنا نجمين .

### ﴿ أحكامهم الدينية ﴾

لا نذكر في هذا الفصل الأحكام الدينية لليهود والنصارى من العرب ولكن نذكر بعض الأحكام الدينية لمشركيهم وهم الدهماء وتلك الأحكام إما من مجهود قرائعهم واستحسانهم ما حسنه عقلهم واستقباحهم ما قبجه أو بقية فيهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل فإن الحنيفية لم تطمس جميع أحكامها بما دخل عليها من عبادة الأصنام والكواكب وغيرها ، فقد حرم كثير منهم الزنا لتحريم شريعة إبراهيم آياه أو لما فيه من ضرر الاغارة على الاعراض واختلاط الانساب فمن هؤلاء عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا عليه الصلاة والسلام وهو القائل لما راودته فاطمة بنت مر الخثعمية عن نفسها

أما الحرام فاللمات دونه والحل لاجل فأستبينه فكيف بالامر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه

ومنهم الاسلام البالي وهو القائل في تحريم الزنا والحمر .

سألت قومي بعد طول مضاضة والسلم أبقى في الامور وأعرف وتركت شرب الراح وهي أميرة والمومسات وترك ذلك أشرف وعففت عنه يا أميم تكرماً وكذلك يفعل ذو الحجا المتعفف ومنهم عنزة بنى عبس وهو القائل .

ما سمت أنثى نفسها في موطن حتى أوفى مهرها مولابها أغشى فتاة الحى عند حليلها واذا غزا في الجيش لا أغشاها واغض طرفي ان بدت لي جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

وكانوا يرجون في الزنا ويروى أبو هلال المسكري عند قولهم في المثل

( احدى بنات طبق ) ان امرأة قالت لزوجها في سفر احمل لي هذا الكرز  
 فحمله فلما توسط الثانية وجد بلالا على عنقه فقذف به فخرج منه رجل يسمى  
 فاستفتى لقمان بن عاد في شأنها فقال تدفن حية في كرزها قال أبو حاتم وأظن  
 ان أصل رجم المحصنة من هذا وذكر القلقشندي ان أول من رجم في الزنا  
 في الجاهلية ربيع بن حدان ثم جاء الاسلام بتقريره في المحصن  
 وحرّم كثير من أهل الرأي فيهم الحجر تكريماً لانفسهم وصيانة لها عن  
 معرفة السكر او اتقاء لضرر الحجر وذكر ان أول من حرّمها الوليد بن المغيرة  
 وقيل قيس بن عاصم السعدي وفيها يقول

لمدرك ان الحجر مادمت شارباً لسالبة مالى ومذهبة عقلى  
 وتاركتى من الضعاف قوائم ومورثتى حرب الصديق بلا نبل  
 وحرّمها صفوان بن أمية بن محرث السكناى وقال وتروى لقيس بن عاصم  
 رأيت الحجر صالحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريماً  
 فلا والله أشربها حياتى ولا أشفى بها أبداً سقيماً  
 ولا أعطى بها ثمناً حياتى ولا أدهو لها أبداً نديماً  
 فان الحجر تفضح شاريها وتورثهم بها الامر العظيماً  
 اذا دبت حمياها تلت طوالع تسفه الرجل الخليماً

ومنهم مقيس بن صبابه السهمى وذلك انه سكر مرة فجعل يخط بيوله .  
 ويقول نعامة أو بغير فلما أفاق أخبر بذلك فحرّمها وقال

رأيت الحجر طيبة وفيها خصال كلها دنس ذميم  
 ولا والله أشربها حياتى طوال الدهر ما طلع النجوم

ومنهم الاسلوم الياى وعبد المطاب بن هاشم جد النبي عليه السلام وعمه أبو طالب  
 وجده قصى بن كلاب وهو القائل لبنيه اجتمنوا الحجر فانها تصلح الابدان  
 وتفسد الازهان وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعاصم بن  
 الظرب العدوانى وعبد الله بن جدعان وكان من أجواد قريش وساداتها وسبب  
 تحريمه الحجر كما قال أبو الزناد انه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضر به

على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهب فقال له عبد الله  
ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال له ألت ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني  
الشراب ما أبلغ معه من جليسي هكذا ووداها ديتين عشرة آلاف درهم وقال  
الحمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا وحرمها عفيف بن معد يكرب  
الكندي عم الاشعث بن قيس وقال

وقائلة هلم الى التصابي      فقلت عفتت عما تعلمينا  
وودعت القداح وقد أراني      بها في الدهر مشغوظا رهينا  
وحرمت الخمر على حتى      أكون بقمر ملحود دفينا

وقال أيضا

فلا والله لا ألقى وشرباً      أنازعهم شراباً ما حبيت  
أبي لي ذاك ابا كرام      وأخوال بعزم ربيت

ومن حرمها في الجاهلية وأدرك الاسلام أسد بن كرز وكان يدعي في  
الجاهلية رب بجيلة وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائي وهو القائل  
حين أدرك الاسلام

تركت الشعر واستبدلت منه      اذا داعى منادى الصبح قاما  
كتاب الله ليس له شريك      وودعت المدامة والندامي  
وحرمت الخمر وقد أراني      بها سدا وان كانت حراما

وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن مرداس وقد قيل  
له حين كبر لو أخذت من الشراب شيئاً فانه يزيد في قوتك فقال لا أدخل  
رأسي شيئاً يحول بيني وبين عقلي . وعثمان بن عفان وقيل له ما منعك من شرب  
الخمر في الجاهلية فقال اني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئاً ذهب جملة  
ويعود جملة . وعدى بن هاشم وقد قيل له مالك لا تشرب الخمر فقال لا أشرب  
ما يشرب عقلي وقيل له مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أصبح حكيم قومي  
وأسمى سفههم

ومن بقايا دين ابراهيم فيهم احترام البيت وأعمال الحج والعمرة وحره

الاشهر الحرم والغسل من الجنابة وتكفينهم مما تقدم ذكره  
ومن الاحكام الدينية التي ذكرتها مفصلة في كتابي « المرأة العربية في الجاهلية »  
حرمة تزوج الامهات والبنات والعمات والخالات وحرمة الجمع بين الاختين  
وأول من جمع بينهما أبو احيحة سعيد بن العاص جمع بين هند و صفية ابنتي  
المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وحرمة قربان الحائض والاعتسال من  
الحيض والظهار والايلاء والخلع وعدة الوفاة والطلاق والعدة منه وكونه ثلاثا  
على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم  
بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها  
حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها . ولقد حرموا السرقة وكانوا  
يقطعون يد السارق اليماني وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة تصلب الرجل اذا  
قطع الطريق وقدروا الدية في النفس والجوارح وحكموا بأن الخنثى يتبع في  
ميراثه المبال وكان طريق الحكم عندهم يمينا أو منافرة الى حاكم يقطع بالبيئات  
أو جلاء وبرهانا يحل به الحق وتتضح به الدعوى وجاء ذلك في قول زهير  
فان الحق مقطعه ثلاث يمينا أو نفار أو جلاء

قال بعض الرواة لو أن زهيرا نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى  
الاشعري ما زاد على ما قال . وكانت اليمين على المدعى . وأول من قال البيعة على  
من ادعى واليمين على من أنكر قس بن ساعدة الايادي . وكانوا يقضون  
بالقسامة وهي الايمان تقسم على أهل المحلة في شأن قتيل وجد في محلته لم  
يدر قاتله فيستحلف ولي الدم منهم خمسين رجلا بالله ما قتلت وما علمت له قاتلا  
وأول قسامة في الجاهلية كانت بحكم أبي طالب وجاء الاسلام فأقر القسامة على  
ما كانت عليه في الجاهلية . وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشر التي  
ابتلى الله بها ابراهيم وهي خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب  
وفرق الشعر والسواك وخمس في الجسد وهي الاستنجاء بالماء وتقليم الاظفار  
وتنف الابط وحلق العانة والختان امتثالا لامر ربه . فلما جاء الاسلام أقرها  
سنة من سنن الدين ولنيسط الكلام على الختان فنقول

الختان - هو في للعرب سنة للنساء والرجال وأول امرأه أختنت هاجر أم اسماعيل وأول رجل أختن إبراهيم امتثالا لامر ربه ولقد حافظت العرب على سنة الختان حتى أن العربي ليخشى أن يوسم بأنه أغرل (١) وشاهده ما حكاه ابن هشام في غزوة حنين من أنه لما استحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلا منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام نصراني له أغرل فبينما رجل من الانصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده أغرل فصاح بأعلى صوته يلمعشر العرب يعلم الله ان ثقيفا غرل قال المغيرة بن شعبة فأخذت يده وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا اتقل ذلك فدناك أبي وامى انما هو غلام لنا نصراني. ومنه يعلم أن نصارى العرب كانوا لا يختنون ومن عادتهم أن يختنوا الوليد رضيعا أو صبيا ويتخذون لذلك ولية يسمونها الاعذار وحكى أهل السير أن النبي ولد معذورا (٢) قال الجاحظ في الحيوان ( والختان في العرب في الرجال والنساء من لدن إبراهيم وهاجر الى يومنا هذا ثم لم يولد صبي مختون قط أو في صورة مختون وناس يزعمون أن النبي وعيسى ابن مريم عليهما السلام ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا الرجوع الى الرواية للصحيحة) وقد اختلف في ولادة نبينا مختونا على ثلاثة أقوال حكاه ابن القيم الجوزية في كتابه زاد المماد (أولها) انه ولد مختونا مسرورا (٣) وقد روى في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (٤) (ثانيها) انه ختن

(١) الاغرل كلالظف ذو الفرلة أو القلظة وهي الجلدة التي تقطع في الختان  
 (٢) معذورا أي مختونا يقال عذر الصبي واعذر اذا ختن (٣) مسرورا أي مقطوع السرة (٤) كانت العرب في الجاهلية تزعم أن الغلام الذي يولد في القمره يختنه القمر وذلك لان غرلته تنقلص فيصير كالمختون قال ابن أبي الحديد « ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه ابلاء السكتان وانتان اللحم وقد روى عن علي بن أبي طالب اذا رأيت الغلام طويل

يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليلة ( نالها ) ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مآذبة وسماه محمدا « قال أبو عمرو ابن عبد البر وفي هذا الباب حديث غريب مسند الى ابن عباس ومن رجال سنده يحيى بن أيوب القائل قد طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته الا عند ابن أبي السرى وقد صنف كمال الدين بن طلحة مصنفا في انه ولد محتونا وأجلب فيه من الاحاديث التي لا زمام لها فنقضه عليه كمال الدين بن المديم وبين فيه انه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب مغنياً عن نقل معين فيها

### ﴿ الدين الفتيشي ﴾

يقال له دين الوثن وذى الروح . لان أهله اعتقدوا أن لسكى مادة روحا تحتل الجسم أو تتصل به ولها سلطان على الاجسام الاخرى حتى أن عبيد غانة كانوا اذا خرجوا لسفر أقسموا أمام أول كائن يبصرونه انهم يخصونه بأنواع العبادة اذا وفقوا في سفرتهم فعبدوا لذلك الاشجار واغصانها وجزورها وقشورها والجلد والمعظم والریش والناب والمخرب والحافر والسن والظفر والحجر وأنواع الحيوان وآلات الحرب والشمس والقمر وغير ذلك لاعتبارهم أن لها قوة مؤثرة وقدموا لها القرابين باعتبار الروح التي تتصل بها أو تحتلها واتخذوها تميمة تقيهم عوادي الايام وتدفع عنهم الخطوب . وهذه ديانة كل الامم المتوحشة ويسمى الافرنج هذا الدين فتيش *fétichisme* وأصلها في اللغة الغرلة فأقرب به من السؤد واذا رأيت قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به « وأنت خبير انه يولد في القمراء كثيرون ومتقاص الغرلة منهم أقل من القليل وكان يصح دعوى جواز الخاصة للقمر لو كان من يولد في القمراء كلهم أو جلهم متقاص الغرلة . وانما خاطبهم على رضى الله عنه بحسب ما يعتقدون قال امرؤ القيس لقيصر وقد وجده أقلق حين دخل معه الحمام

انى حلفت يمينا غير كاذبة لانت أغلف الا ما جنى القمر

البرتغالية feticio بمعنى السحر . لان الملاحين البرتغاليين سموها السحرة من الزنوج ثم توسعوا فيها فأطلقوها على هذا الدين . ولقد كان اكبار بعض الناس للحكماء الاولين أن اتخذوا لهم الصور والتماثيل اعترافاً بفضلمهم فيما بذلوا من الارشاد والتهذيب فاتخذ المتأخرون لجهلمهم تلك الصور والتماثيل زلفى يعبدونها لتقربهم الى الله ثم آل الامر ببعضهم أن اتخذ تلك الاضنام آلهة خصوصاً بأنواع العبادة كما دعتمهم أوهاهم الى ذلك

ولشيوع هذا النوع من العبادة في أمم عديدة عبدت الملوك العادلون والعباد والشجمان والقواد والسمحاء الاجزاد ممن بلغ في صفة غاية الكمال ثم زادوا فيه توسعاً فعبد كل قوم صنماً استحسبوه على صورة انسان أو كوكب أو حيوان أو معدن أو نبات ثم توسعوا في ذلك حتى اخصن بعضهم بصنم يعبده في خلوته دون ذويه وعشيرته

ومعبودات هذا الدين لا تحصر فان من لوازم النفوس البحث عن موجد فتصوروه النافع أو الضار من النبات أو المعدن أو الحيوان أو الكواكب وافترقوا في عبادة ذلك النافع أو الضار بحسب اختلاف النظر الى فرق شتى . فمنهم عباد الثيران وعباد الثعابين . وعباد القيلة وعباد القلط وعباد الثوم وعباد شجر الزيتون وعباد الخرنوب وعباد الشمس أو القمر وعباد التماثيل ، وعباد الانسان أو جزء منه أو غير ذلك حتى عبدوا الارواح كالملائكة والشياطين . واعتنق هذا الدين كثير من العرب من قديم الزمان ولم تدل دولة هذا الدين وغيره من الاديان حتى أشرق على العرب نور الاسلام فتبددت بأشعته حجب الاوهام

### ﴿ عبادة الانسان والحيوان والشجر والملائكة والجن ﴾

من العرب عباد الحيوان أو عبدة الملائكة أو الجن أو الشجر لمعنى تاحظه في المعبود من النفع أو الضرر . فن عبادة الحيوان عبادتهم للجمل وشاهدها ما ذكره السهيلي في قدوم وفد طيبي على رسول الله قال « خرج نفر من طيبي

يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا وهمهم زيد الخليل ووزر بن سروس  
النهباني وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جوين الجرهمي وهو النصراني ومالك  
ابن عبد الله بن خيرى بن اقلت بن سلة وقمين بن غليف الظريفي رجل  
من جديلة ثم من بني بولان فمقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا  
قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبي صلى الله  
عليه وسلم اليهم قال اني خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود  
الذي تعبدونه من دون الله ومما حازت منا (١) من كل ضار غير نفاع ،  
وقل هذا الخبر الاصفهاني في الاغانى . ومن ذلك ما كان من عمرو بن حبيب  
الموصوف بنى الكيود اى كشير الكيود فانه اغار على بني بكر فأصاب  
سقباً (٢) كانوا يعبدونه من دون الله فخاراد اغاظتهم فنهروه وأكله وفي ذلك  
يقول احمد البدوي الشنجيطي عند ذكر مهارب وهو أبو قبيلة

وأنسب حبيهم وذا الكيود آكل سقب بكر المعبود

عبادة الانسان — كانوا يعظمون الامراء والرؤساء تعظيم العبادة . وليس  
أدل على ذلك من الحج اليهم وتعظيم اماكنهم وآثارهم وقد حجت العرب  
عصابة الزبرقان بن بدر قال السهيلي \* وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمامهم  
وكباب وينضح بالعفران والطيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت وقد أشار  
الزبرقان لذلك بقوله من قصيدة

بما ترى الناس تأتينا سراهم من كل أرض هوياء ثم تصطنع (٣)

فتمنجر الكوم عبطا في أرومتنا للنازلين اذا ما انزلوا تشبعوا

قال البغدادي في خزنة الادب (وقال أبو محمد الاسود الهمداني ان بني سعد

ابن زيد مناة كانوا يحجون عصابة الزبرقان اذا استهلوا رجبا في الجاهلية اجلالا  
له واعظاما لقدره وذكر ذلك ربيعة بن سعد النمري يمدح الزبرقان بقوله

كانت تحج بنو سعد عصابة اذا استهلوا علي أنسابه رجبا

(١) قال أبو المنذر يعني بمناع جبل طيبي\* (٢) السقب ولد الناقة أو صاعقة

يولد أو خاص بالذكر (٣) وفي رواية . من كل أرض هوياء ثم تشبع

سب يزغفره سمعد ويمبده في الجاهلية يذتابونه عصبا  
والمصابة ما يعصب به الرأس « فأتت ترى الشاعر قد صرح بان هذا  
التمظيم نوع من العبادة في قوله ويمبده في الجاهلية . ولقد هجا الزبرقان بن  
بدر المخبل السعدى فقال

ألم تعلمى يا أم عمرة اننى تخاطأنى ريب الزمان لا كبرا (١)  
وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزغفرا (٢)  
والزبرقان هو حصين بن بدر لقب به لحسن وجهه لان الزبرقان من أسماء  
القمر أو لانه كان يزبرق عمامته في الحرب أى يصفرها . وكان الزبرقان في وفد  
تميم الذين وفدوا على رسول الله فنادوه من وراء الحجرات وقد أسلم وولاه  
رسول الله صدقات قومه فأداها في الردة الى أبى بكر فأقره ثم الى عمر وذكر  
البيكوكبى انه وفد على عبد الملك وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل  
فرس الى آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس منها يمينا غير التى حلف بها  
على غيرها فقال عبد الملك : عجبى من اختلاف ايمانه أشد من عجبى بمعرفته  
بأنساب الخيل

عبادتهم الملائكة والجن — شاهدهما ما ذكره الشهرستانى في كتابه

(١) تخاطأنى بمعنى تخاطبى وفاتنى و( ريب الزمان ) حوادثه و ( كبر ) فى  
السن من باب فرح . يعنى انه كرهه أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من  
الجلالة والمظمة بحيث يحج بنو سمعد عصابته (٢) قال البغدادى فى خزائن  
الادب . قال أبو محمد الاسود (واشهد) بالنصب عطف على لا كبرا و(عوف)  
أبو قبيلة وهو عوف بن كعب بن سمعد و ( الحلول ) القوم النزول من حل  
بالمكان اذا نزل فيه و ( يحجون ) يقصدون قال ابن دريد فى الجهرة الحج  
القصيد وأنشد هذا البيت و (السب) بكسر السين المهملة العمامة . وكانت  
سادات العرب تصبغ العمامم بالزعفران وقال بعض الناس ان الشاعر قصد  
بهذا البيت معنى قبيحا وكنى بهذا اللفظ عنه . ويدفعه قوله يزورون فان  
الزيارة لا تستعمل فى هذا الا أن يدعى التهمك

الملل والنحل : ان من العرب من يصبوا الى الملائكة فيعبدونهم ومنهم من يعبد الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله . وقال أبو المنذر « وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن وفيهم نرات ان الذين تدعون من دون الله عبادة أمثالكم ، وفي شعب الايمان عن مجاهد قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا بنات سرة الجن . ولقد رد الله عليهم بقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » الى أن قال « وجعلوا بينه وبين الجنة سببا . ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون »

وقد اعتقد بعض العرب في أشخاص من الملائكة والارواح التدبير لاهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد في نفسه وولده وماله وشبههم بحال الشفعاء والندماء . وبعضهم اعتقد أن الله جبل جلاله يكتب من الملائكة علما ليس عنده قياسا على الملوك بالنسبة للجواسيس . واعتقد العرب أيضا ان الجن يعملون الغيب . وانهم قادرون على ايذاء الانسان فكانوا يستعيذون بهم اذا ركبوا المفاوز يزعمون انهم اذا استعاذوا بهم دفعوا عنهم كل مكروه حتى قال بعضهم وقد استعاذ بالجنى عظيم الوادى فأكل السبع ولده

قد استعذنا بمعظيم الوادى من شر ما فيه من الاعادى

فلم يجرنا من هزبر عادى

ونسبوا أكثر الامراض الى الجن وداووها بالتقرب اليها واذا اشترى أحدهم داراً أو استخرج عينا ذبح للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنضب العين وأمثال هذه المعتقدات كانت مدعاة لعبادتهم وعن عبد الله بن مسعود في رواية أن نقرأ من العرب كانوا يعبدون نقرأ من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا : ولقد رد الله أيضا على من عبد الملائكة من العرب بقوله

« ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون عبادتهم للشجار - حكى عبادتهم لها ابن هشام في السيرة عند الكلام

على غزوة حنين عن الحارث بن مالك . قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية . فسرنا معه إلى حنين وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط (١) يعظمونها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويمكثون عليها يوماً . فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلمم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهماً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » وفيها يقول الشاعر

لنا المهيمن يكفيننا أعادينا كما رفضنا إليه ذات أنواط

هذا وعبدت العرب العزى وهي كما قال السهيلي « نخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم أن الرب يشتي بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتاً وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة »

ومما فعله عمر بن الخطاب مخافة عبادة الشجر قطعه للشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست للهجرة فعن نافع قال ( كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . فعل عمر ذلك قطعا لشأفة الوثنية خشية الفتنة بها وعبادة غير الله تعالى . ولعمر في هذا الباب مواقف مجيدة منها انه عند ما دخل مسجد بيت المقدس استدعى كعب الاحبار فلما أتى به قال له أين ترى أن نجم المصلى فقال إلى الصخرة فقال

( ١ ) ناطه نوطا علقه والأنواط المعاليق سميت بذلك لانهم كانوا يعلقون

بها أسلحتهم

ضاهيت والله اليهودية ياكعب وقد رأيتك وخلعتك نعليك فقال أحببت أن  
أبشره بقدمي فقال قدر رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة  
مساجدنا صدورنا فاذهب اليك فانالم تؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكمة.  
ومنها قوله للحجر الاسود لولا انى رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك واقدم  
أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

### ✽ الوثنية في العرب ✽

أول من سجد للاصنام الصابئون . وكانوا كالمجوس يسجدون في مبدأ  
أمرهم للاجرام السماوية ولما رأوا الشمس تخفى ليلا وسائر الكواكب نهراً  
وأرادوا التمكن من عبادتها في كل حين مثلوا لها صوراً عبدوها ولذلك كانت  
أوثان القدماء المشهورة هي المشتري وزحل والمريخ وعطارد وأرطاميس  
ويونون والزهرة . ثم زعموا أن لنفوس الاموات العظام مدداً الهياً به كانوا  
عظاماً في الحياة فمثلوا لهم صوراً عبدوها واتخذوهم شفعاء عند الله . وأول من  
فعل ذلك نينوس بن نمرود بن نوح ملك الاشوريين باني مدينة نينوى فانه  
صنع لآبيه تمثالاً سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد وحمل الناس على عبادته وذلك مبدأ  
عبادة الملوك والامراء والشجعان

وتاريخ دخول الوثنية في بلاد العرب قديم جداً وأول من أدخلها الى  
مكة وما جاورها عمرو بن لحي سيد خزاعة . وذلك أن جرهما كانوا قد طغوا  
في الحرم وظلموا واستحلوا منه أمورا عظيماً . فارسل الله اليهم خزاعة حين  
أجلهم سيل العرم من بلادهم فطردوا جرهما منه وقتلوا من قتلوا منهم فشفى  
ذلك صدور أهل الحرم وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم . وربما ظنوا أن الله  
قد أرسلهم اليهم ليخلص أهل حرمه من جورهم وكان رئيس خزاعة عمرو بن  
لحي فتولى سداً البيت . ودانت له العرب واتخذوه رباً لا يبتدع لهم بدعة  
الا اتخذوها شرعة . وكان فوق ذلك قد ملكهم بأحسانه فربما نحر في الموسم  
عشرة آلاف بدنة وكسب عشرة آلاف حلة . وكان يطعم الحجيج السويق  
فدعاهم لعبادة الاوثان وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها بما كانوا يعظمونه

من حجارة الحرم فأجابوه حكى أبو المنذر عن أبيه وغيره قال « ان اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملؤا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضافت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتنفسحوا في البلاد والتماس المماش وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصباغة بمكة غيما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وحباً لها وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتصرون على ارض أبيهم ابراهيم واسماعيل . ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان (١) وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم وانتجنوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح منها على ارض ما بقي فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتسكفون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسيد السائبة . ووصل الوصيعة وبحر البهيرة وحى الحامية عمرو بن ربيعة . وهو لحي ابن حارثة بن عمرو بن عامر الازدي وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذي يلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرهما بيني اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة وتقام من بلاد مكة وتولى حجابة

(١) لهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمس التماثيل ولعن المتخذين على القبور المساجد والسرج ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه ألا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى لا تخلف الخلوفاً بعد الخلوفاً وتنسى ما كان عليه السلف وتتخذ ما تصنع ديناً فسدنا للذرية نهى عن ذلك

(٢) انتجنوا استخرجوا

البيت . ثم انه مرض مرضاً شديداً فقيل له ان باللقاء من الشام حمة (١) ان أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ . ووجد أهلها يعبدون الاصنام . فقال ماهذه فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسالهم أن يعطوه منها فعملوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٢) « فانت ترى ان الوثنية كانت فيهم قبل عمرو بن لحي بما عبدوه من حجارة الحرم في أسفارهم وانما عمرو بن لحي هو أول من وضع لهم أنواع عبادتها وبين لهم ضروب التقرب اليها من اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وغير ذلك . وأول من نقل الاصنام الى الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل أهلها على عبادتها . ولولاه ما رسخت فيهم أقدامها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب النصب عمرو بن لحي رأيت يثؤدى أهل النار بريح قصبه (٣) وقال سحنة بن خلف الجرهمي في اتخاذ عمرو بن لحي للاصنام

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت انصابا  
 وكان للبيت رب واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا  
 لتعرفن بأن الله في مهل سيصطفى دونكم للبيت حججبا  
 ونظم ذلك أحمد البدوي الشنقيطي في كتابه عمود النسب فقال  
 قعة قيل جد عمرو بن لحي ذى القصب في حديث أفضل ثوى  
 أول من حمل أكياس الحرم لكفره على عبادة الصم  
 وأدخل اللذين أخرجهما أذا أحدثا فسحاً أهلهما (٤)

(١) الحمة بفتح الحاء والميم المشددة المفتوحة كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى بها الاعلاء (٢) حكى أبو المنذر أيضاً أن عمرو بن لحي كان كاهنا وكان له رثى من الجن يكنى أبا ثمامه فقال له عجل بالسير والظمن من تهامة بالسعد والسلامة . قال جبر ولا أقامه قال . انت ضف جدة تجد فيها أصناما معدة . فأوردتها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب لعبادتها تجب . فأتى شط جده فاستنارها ثم حملها حتى ورد تهامة . وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة (٣) القصب بالضم المعنى جمه أقصاب (٤) انظر الكلام على أساف صفحة ١٣٣

وصلبنا على الصفا ليعتظ عن الزنا بمكة كل يقظ  
ملك أربعين الفا فسمل عن شكرها عيون عشرين حمل (١)  
وكاد يعبد فكل ما أمر به من المختلقات يعتبر  
كالبحر والوصل وكالتسيب والحماية وكل ريب

الى أن قال بعد تفصيل في البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى

والعرب قبل متدينونا بملة الخليل يعملونا

وهو أبو خزاعة واكنم شبهه به النبي منهم (٣)

وقد نص الشهرستاني في الملل أن عمرو بن لحي وضع الاصنام في البيت في  
أول ملك سابور ذى الاكتاف وتاريخ دخول الوثنية في الحرم يرجع لتولى  
عمرو بن لحي الحرم حين تزوجه مع خزاعة وتغلبه على جرم عام سيل العرم .  
وقد اختلفوا في وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الالفهاني انه حدث قبل  
الاسلام باربعمائة سنة أى في القرن الثالث للميلاد . وقال ابن خلدون أن السد  
تهدم في أيام حسان بن تبيان أسعد أى في القرن الخامس للميلاد وذكر  
ياقوت انه وقع في ملك حبشان ولعلها حسان حرفها النسخ بحبشان فيوافق ابن  
خلدون أو المراد بحبشان الاحباش وقد كان ملكهم على اليمن في القرن السادس

(١) في الروض الالف : وذكر أبو الوليد الازرقى في أخبار مكة أن عمرو

ابن لحي فقاً أعين عشرين بمرأاً وكانوا ينفقون عين الفحل اذا بلغت الابل الفا  
فاذا بلغت الفين فقوا العين الاخرى قال الزاجز

وكان شكر القوم عند المنى كى الصحيحات وفق الاعين

(٢) حكى ابن اسحاق في سيرته أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله

يقول لأكنم بن الجون الخزاعى يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف  
يجر قصبه في النار . فما رأيت رجلاً أشبهه برجل منك به ولا بك منه . فقال  
أكنم عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر . انه  
كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسبب السائبة

• وصل الوصيلة وحى الحامى

وكانت الوثنية في عاد قوم هود وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج وبيرين ووبار الى عمان وفي نمود قوم صالح وكانت منازلهم بين الشام والحجاز في الحجر وقرح وهي وادي القرى وفي دولة حمو رابي وهي الدولة البابلية الاولى من سنة ٢٤٦٠ ق م الى ٢٨١ ق م وفي أثناء هذه الدولة بعث لهم ابراهيم الخليل وقد حكى الله قصة تكسيره الاوثان في قوله « وتالله لا اكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون » الى آخر الآيات ومعبودات البابليين على ما ذكره جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام كثيرة الشبه في أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها باقدم الهة العرب في اليمن وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع . وذكر ايضا أن العرب القحطانيين والمدنانين يشتركون في عبادة الاصنام الا أن آلهة القحطانيين أهل اليمن أقرب الى معبودات البابليين فعندهم عشتار وايل وبعل وغيرها أما العرب الاسماعيليون أو المدنانيون سكان شمال جزيرة العرب فيشتركون في عبادات تختلف عن تلك كالكالات والعزى ومناة وهبل وغيرها وكانت الوثنية في مدين قوم شعيب وكانت منازلهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز وكانت الوثنية دين ملوك الحيرة قبل أن يتنصروا ودين أهل اليمن قبل أن يدخل تبع الآخر اليهودية فيهم

### ﴿ أصنام العرب وبيوت عبادتها ﴾

قال السهيلي يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير الصخر كالنحاس وغيره وقال أبو المنذر المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن وقال غيره الوثن كل ماله جثة معمولا من جواهر الارض أو من الخشب أو الحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة ومن العلماء من لم يفرق بينهما وقال اذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تماثلا سمي صنما ووثنا ويقال لبيت الاصنام الذي يتخذ وزين الزونة

وللبيت الذي فيه أصنام وتساوير البد وكان للعرب أصنام عدة وبيوت للعبادة يعظمونها ويحلمون لها سدة وحجابا ويهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كطوافهم بها وينحرون عندها وهم يعرفون فضل الكعبة عليها لانهم يعلمون انها من بناء ابراهيم الخليل عليه السلام . ولذا ذكرنا ما عثرنا عليه من ذلك مرتبا على حروف المعجم فنأتي بكل ما جاء منها بكتاب الاصنام لابي المنذر هشام بن محمد السائب بن بشر الشهير بأبي السكبي وما لم يذكر منها فيه ننبه عليه وقد نزهه الى مأخذه ونكتفي فيما ذكره احمد بن فارس الشدياق في كتابه الساق على الساق فيما هو الفاريق بقولنا عن احمد فارس وفيما ذكره ابن سيده في المخصص بقولنا عن المخصص وفيما ذكره السيد مرتضى في تاج العروس شرح القاموس بقولنا عن تاج العروس فنقول :

آزر - صنم عبده العرب في الجاهلية (عن تاج العروس)

اساف ونائلة - صنمان عبدهما العرب وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما . حكى ابن المنذر عن أبي صالح عن ابن عباس « ان اساف بن يعلى رجل من جرم كان يتمشق نائلة بنت زيد من جرم ( ١ ) في أرض اليمن فاقبل حاجين فدخلوا الكعبة فوجدوا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها في البيت فسحوا فأصبحوا فوجدوها مسخين فأخرجوهما فوضعهما ووضعهما ليمتظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما بلصق الكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان بلصق الكعبة الى الآخر فعبدتها خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » وحكى ابن العربي عن ابن اسحاق « ان اسافا ونائلة بعد مسخهما وضع أحدهما على الصفا والآخر على المروة لينزجر الناس عن مثل ما ارتكبا فلم يزل الامر يدرس

( ١ ) في سيرة ابن هشام اساف بن بنى ونائلة بنت ديك . وفي الملل

لشهرستاني اساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل وفي الاغانى جزء ١٣ صفحة ١٠٥ عن عثمان بن ساج عن أبي الزناد اساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذئب وقال غيره نائلة بنت ذئب

ويتقدم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة فلما كان عمرو بن  
الخطي أمر بعبادتهما وتعظيمهما والتسبح بهما . وقال : انهما كانا معبودين لمن  
قبلكم فلما كان قصي بن كلاب حولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما  
ماصقا بالكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدى  
للكعبة . وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم وكان ينحر عندهما ويذبح ولم  
تكن تدنو منهما امرأة طمئت . وفي ذلك يقول بشر بن أبي حازم الاسدي  
أسد خزيمية

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ويستلمه فاذا فرغ من طوافه  
ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله مع الاصنام يوم فتح  
مكة « وفي عتبة باب السلام الخارجية أحد أبواب المسجد الحرام حجر عظيم  
يشبه درجة سلم غير منتظم تطؤه النعال يقول أهل مكة انه اساف ذلك الصنم  
الاسحم - صنم عبده العرب ( عن تاج العروس )

الاشهل - صنم وبه سمي عبد الاشهل أبو حي من العرب ( عن  
تاج العروس )

الاقيصر - قال أبو المنذر هو صنم كان لقضاة ولحم وجذام وعاملة  
وغطفان وكان في مشارف الشام فكانوا يحجونه ويحلقون رءوسهم عنده  
فكان كلما حلق رجل منهم رأسه التي مع كل شعرة قرّة من دقيق - والقرّة  
القبضة - فكانت هوازن تفتابهم في ذلك الابان فان أدركه أحدهم قبل أن يلتقي  
القرّة مع الشعر قال : أعطني فاني من هوازن ضارع وان فاته أخذ ذلك الشعر  
بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله « وفي الاقيصر يقول زهير بن أبي  
بلمى حلفت بأنصاب الاقيصر جاهدا وما سحقت فيه المقاديم والقمل  
أوال - صنم لبكر وتغلب ( عن تاج العروس )

باجر - بالجيم المفتوحة وربما كسرت صنم كان للزد ومن جاورهم من  
طبي وقضاة

البجة - صنم عبده العرب ( عن تاج العروس )

بس - بيت لفظان ( انظر صفحة ٣٣ )

بعل - صنم كان لقوم اليباس عليه السلام ( عن احمد فارس )

البعيم - صنم ( عن تاج العروس )

بلج - صنم ( عن تاج العروس )

بوانة - صنم عبده . روى عن أم أيمن أنهم كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتمظه وتنسك أى تذبح له وتحلق عنده وتمكف عليه يوماً الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجمان يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعا فلم يرالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزطاً مرعوباً فقلن ما دهاك فقال : انى أخشى أن يكون بي لم ( جمع ) لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه قالت أم أيمن فما عاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم وتلك احدى ارماساته تيم - صنم كانت تعبده بنو تيم في الجاهلية قال أبو عبيدة تيم كلها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تيم ( عن الاغانى )

الجبهة - صنم كان يعبد في الجاهلية ( عن تاج العروس )

جريش - كأمر صنم عبد في الجاهلية واليه نسب عبد جريش والد عبد قيس ( عن تاج العروس )

الجلسد - صنم عبد في الجاهلية كما في المخصص لابن شيذه قال الشاعر

فبات محتاب شقارى كما بيقر من يمشى الى الخلسد (١)

(١) الشُقارى شقائق النعمان ويقر أسرع مطأطأ رأسه

جهار - صنم كان لهوازن ( عن تاج العروس )  
الدار - صنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب أبو بطن من العرب  
( عن تاج العروس ) .

دوار - قال البغدادي في خزائن الادب « دوار بالفتح صنم كانوا يدورون  
حوله أسابيع كما يطاف بالبيت الحرام قال امرؤ القيس  
فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل (١)  
يقول ان هذا القطيع من البقر يلوذ بهضه ببعض ويدور كما تدور  
المذارى حول دوار وهو نسك كانوا في الجاهلية يدورون حوله . وقال  
المسكري في التصحيف و يروي دوار بدال مضمومة ودوار بدال مفتوحة  
وواو مخففة (٢) وهو نسك كان لهم في الجاهلية يدار حوله » ويطلق الدوار  
على الطواف قال أبو المنذر « وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون  
بها ويعترونها عندها يسمونها الانصاب ويسمون الطواف بها الدوار وفي ذلك  
يقول عامر بن الطفيل وأنى غنى بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى  
في فتياتهم جمالا وهن يظفن به فقال :

ألا ياليت أخوالى غنيا عليهم كلما أمسوا دوار  
وقال في ذلك المثقب العبيدي لمرو بن هند

يطيف بنصبيهم حجن صغار فقد كادت حواجبهم تشيب (٣)  
ذو الخلصة - بفتح الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة (٤) بيت لخثعم  
كان يدعى الكعبة الجمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة وقيل اسم البيت  
الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد ان موضع ذي الخلصة صار  
مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم وقال أبو المنذر « ان ذا الخلصة

( ١ ) السرب قطيع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا و ( الملاء )  
بضم الميم جمع ملاءة وهي الملحفة و ( المذيل ) السابغ ( ٢ ) في القاموس  
الدوار ككتان و بضم صنم ويخفف ( ٣ ) حجن صبيان ( ٤ ) حكى فيه فتح أوله  
اسكان ثانيه أو ضممه أو ضمهما

كان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو امامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وازدالسراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة وفيها يقول خداس بن زهير العامري لعنت (١) بن وحشى في عهد كان بينهم فغدر بهم

وذكرته بالله بينى وبينه وما بيننا من مدة (٢) لوتذكرا

وبالمروة البيضاء يوم تبالة ومحبة النعمان حيث تنصرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه جرير بن عبد الله مسلما فقال له يا جرير ألا تكفيني ذا الخلصة فقال بلى فوجهه اليه فخرج حتى أتى بنى أحس من بجيلة فسار بهم اليه فقاتلته خثعم وباهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثرت القتل في خثعم وقتل مائتين من بنى قحافة بن عاصر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار فاحترق. وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخلصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه» وكان يحج اليه ويهدى له روى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ان المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذى الخلصة ومعه غلظة من قومه وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث ابن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذى الخلصة اهدى له هديا يتحرم به ممن اقيه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار وانذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلا منهم يقال له هند بن اسماء ابن زبياع فسأله ان يهدى نفسه فأبطأ عليه فقطع أنمله ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقدامنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعا والهي لا أومنة ثم قتل فرثاه أخوه لامة اعشى باهلة بقصيدته التي يقول في مطلعها

(١) خزانه الادب للبغدادي لعقبة (٢) رواية خزانه الادب من هذه

انى أتتى لسان لا أسر بها من علولا عجب منها ولا سخر (١)  
الى أن قال

أصبت فى حرم منا أختة هند بن أسماء لا يهنى لك الظفر  
خاطب قاتل المنتشر بقوله أصبت منا أختة فى حرم وهو حرم ذى الخلفة  
وروى البخارى بسنده عن جرير قال كان بيت فى الجاهلية يقال له ذو  
الخلفة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم  
ألا تريحنى من ذى الخلفة فنفرت فى مائة وخمسين راكبا فكسرناه واستشكاه  
بعض المحدثين بان معناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية  
البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى واجاب عنه السهيلي بان  
الحديث فى جامع البخارى بزيادة له كما فى صحيح مسلم وليست له بزيادة  
سهوا اذ المعنى كان يقال له أى يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة  
وهو الكعبة اليمانية وله بمعنى من أجله لا تنكر كما قال ابن أبى ربيعة  
وقير من آخر الليل قد لا ح له قالت الفتانان قوما

ذو الشرى - صنم كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد

ذو الكعبات - بيت كان لربيعة كانوا يطوفون به كما فى تاج العروس

وكان بسنداد وفيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سنداد

ذو الكفين - صنم كان لبني منهب بن دوس فلما أسلموا بعث النبى عليه

الصلاة والسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فجعل يلقى النار فى وجهه ويحرقه ويقول

يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أكبر من ميلادك

انى حشوت النار فى فؤادك

الربة - اللات وكعبة كانت بنجران لمذحج وبني الحارث بن كعب ( عن

تاج العروس )

( ١ ) اللسان الرسالة و اراد بها نعى المنتشر و ( سخر ) بضم تين أى اتانى

رسالة من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لازمصاب الدنيا كثيرة

رضاء - بيت لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وطها يقول  
المستوغر بن ربيعة بن كعب حين هدمها في الاسلام  
ولقد شدت على رضاء شدة فتركها فقرا بقاع اسحما  
وأعان عبد الله في مكروها وبمثل عبد الله أغشى الحرما  
رئام - هو بيت كان بصنماء لحمير وأهل اليمن يعظمونه وينحرون عنده  
ويكلمون منه فيما يذكرون فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه الى  
العراق قدم معه الخبران اللذان صحباها من المدينة فأسراه بهدم رئام وقال  
انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال شأنكما فنشر التوراة وجعلا  
يقرأنها وهدماه . قال ابن اسحاق فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي  
كانت تهراق عليه

السحة - صنم كما في القاموس

سعد - قال أبو المنذر هو صنم كان لبني مالك وملك كان ابني كنانة ومكانه  
بساحل جدة وتلك الناحية وكان سعد صخرة طويلة فأقبل رجل من بني  
ملكان بأبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق  
عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه فغضب ربها فتناول حجرا فرماه  
به وقال لا بارك الله فيك الها أنفرت على ابلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها  
ثم انصرف وهو يقول

اتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعولني ولا رشد

سعد - صنم أيضا كان لمذحج (عن احمد فارس)

سعد - صنم أيضا كانت تعبده هذيل (عن المخصص)

السعيدة - بيت بني بجيل أحد كانت تحجر ربيعة في الجاهلية (عن المخصص)

سعير - بصفة التصغير صنم كان لعنزة قال ابو المنذر خرج جعفر بن أبي

خلاص الكلابي على ناقته فر به وقد عترت عنزة عنده فنفرت ناقته منه

## فأنشأ يقول

نفرت قلوبى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقدم (١)  
 وجموع يذكر مهطعين جنابه ما الف يحير اليهم بتكلم  
 سواع - قال ابو المنذر وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل  
 وغيرهم وسموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل  
 هذيل بن مدركة (٢) اتخذوا سواعا وذلك ان عمرو بن لحي دفع للبحارث  
 ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان لهم

(١) يقدم ويذكر ابنا عنزة رأى الشاعر بنى هؤلاء يطوفون حول السعير  
 (٢) مقتضاه ان ودا وسواعا ويفوث ويعوق ونسرا هي غير ما عبده  
 قوم نوح بل مطابقة لها في الاسم وفي المستطرف انها اصنام قوم نوح لقوله  
 واما يفوث ويعوق ونسر . فقيل انهم كانوا اولاد آدم عليه السلام وكانوا  
 اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فأرادوا أن يصوروا صورته  
 لبدكروه اذا نظروه فصوروه من صفر ونحاس وجعلوه في مؤخر المسجد  
 كراهة ان يكون في قبلته ثم مات آخر ففعلوا به ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم  
 هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وعبدوها الى أن بعث الله  
 نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها . ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها  
 التراب زمنا طويلا ثم أخرجها مشركو العرب فعبدوها . وذكر الواحدى  
 فى الوسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهم السلام  
 فسول الشيطان لقومهم بعمد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم  
 وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم جهال بالاحوال فحسن لهم  
 عبادتها فعبدوها ومقتضاه أن تكون هذه الاصنام تماثيل أنسانية لكن  
 نقل الواحدى ان ودا كان على صورة رجل وسواعا على صورة امرأة ويفوث  
 على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وهذا  
 يصحح ما ذكره أبو المنذر وابن اسحق من أن الاصنام المذكورة ليست هي  
 الاصنام التى عبدها قوم نوح وانما سميت باسمائها

برهاطٍ من أرض يذْبُع يبيده من يديه من مضر بن نزار وكانت سَدَنته  
بني لحيان وكانوا يحجون إليه وينحرون عنده ويمكفون عليه وفي ذلك  
يقول الشاعر

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع

تظل جنا به صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمه عمرو بن العاص قال عمرو  
فلم انتهيت إليه وعند السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله أن أهده  
قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع أو يبصر قال  
فدنوت منه فكسرتة ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

الشارق - صنم كانت تعبده هذيل وبه سمي عبد الشارق (عن تاج العروس)

شمس - صنم قديم كان في الجاهلية وبه سمي عبد شمس وهو بطن من

قريش وأول من تسمى به سبأ بن يشجب (عن تاج العروس)

ضمار (١) - صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه (سيرة ابن هشام)

الضيزن - صنم كان يعبد من دون الله في الجاهلية (عن المخصص)

الضيزنان - صنمان كانا للمنذر الأكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد

لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة (عن المخصص)

عائم - بالهمز صنم كان لآزد السراة وأقسم زيد الخير به فقال

تخبر من لاقيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سيأثم لاوعائم

عبدة مرحب - صنم كان بحضر موت

ععبعب - بالعين المهملة ويقال بالمعجمة صنم كانت قضاة تعبده (عن المخصص)

العزى - صنم عبده العرب واتخذ عليه بيت قال ابو المنذر (وهي

(١) قال السهيلي ضمار بكسر الراء مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل

هذا البناء الا في أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم اناثا كاللات والعزى ومناة

لاعتقادهم الخبيث في الملائكة انها بنات

أحدث من اللات ومناة وذلك انى سمعت العرب سمت بهما قبل العزى فوجدت تميم بن مر سمي ابنه زيد مناة بن تميم بن مر بن ادبن طابخة وبعدمناة ابن اد وباسم اللات سمي ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات وتيم اللات بن رفيدة ابن ثور وزيد اللات بن رفيدة بن ثور بن وبرة بن مر بن اد بن طابخة وتيم اللات بن الحر بن قاسط وعبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فهي أحدث من الاولين . وعبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد (١) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت وكانت العرب وقريش تسمى بها وكانت أعظم الاصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويتمربون عندها بالدبائح وكانت قريش قد حمت لها شعبا من وادى حراض يقال له سقام يضاهاون به حرم الكعبة فذاك قول ابى جندب الهذلى فى حلف امرأة كان يهواها بها

لقد حلفت جهدا يمينا غليظة بفرع التى أحت فروع سقام  
وكان لها منحرج ينحرون فيه هداياها يقال له الغنجب (٢) وفيه يقول  
هبيكة الفزاري لعامر بن الطفيل

يا عام لو قدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغنجب  
وكانت قريش تخصصها بالاغظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل وكان  
قد تأله فى الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام  
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الصبور  
فلا العزى ادين ولا ابنتيها (٣) ولا صنمى بنى غنم أزور  
ولا هبلا أزور وكان ربا لنا فى الدهر اذ حلنى صغير

(١) ننقل عن ابن العربى عند الكلام على اللات ان اول من دعا لعبادة العزى عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب (٢) قال السهيلي الغنجب هو المنحرج ومراق الدم كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعائه (٣) رواية ولا ابنتيها

وكان سدنة العزى بنو شيبان بن جابر بن مرة من بني سليم وكان آخر من سدنهم منهم ديبية بن حرمي السلمي . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه فعابها وغيرها من الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذي مات فيه فدخل عليه أبو لهب يعمده فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكي ولا بد منه قال لا ولكني أخاف ألا نعبد العزى بعدى قال أبو لهب والله ما عبدت حياتك لاجلك ولا أتترك عبادتها بعدك لموتك فقال أبو أحيحة الآن علمت ان لي خليفة . وأعجبه شدة نضبه في عبادتها فلما كان يوم الفتح دعا النبي خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة بيطن نخلة فاعضدها فانطلق فقتل ديبية سادتها (وذكر ابن هشام انها كانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر فلما علم سادتها السلمي بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول

يا عزى شدى شدة لا نوى بها (١)      على خالد القى القناع وشمري  
فانك الا تقتلى اليوم خالدا      فبوئى بذل عاجلا وتنصرى  
فلما انتهى اليها خالد هدمها      وقال بعضهم ان خالدا حمل على العزى  
وهو يقول

يا عزى كبرانك لا سبحانك      انى رأيت الله قد أهانك  
ثم قتل ديبية السادن وقطع الشجرة وكان من سدنهم أفلح بن النضر السلمي من بني سليم حكى سعيد بن عمرو الهذلى ان أفلح سادتها لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعمده وهو حزين فقال ما لي أراك حزينا قال أخاف ان تضيع العزى بعدى فقال له لا تحزن فاني أقوم عليها بعدك . فجعل أبو لهب يقول لكل من لقي أن تظهر العزى كنت قد أخذت عندها يدا وان يظهر محمد على العزى وما أراه يظهر فابن أخى . فانزل الله تعالى ( تبت يدا أبي لهب ) وروى ابن العربي من حديث أبي الوليدان سدنة العزى بنو شيبان بن سليم خلفاء

(١) رواه خزائن الادب : عزاي شدى شدة لا تكذبى .

بنى هاشم . وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظمها فاذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى ياتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويمكفون عندها يوما وقال أبو المنذر (ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئاً من الاصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة . فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وذلك فيما أظن لقربها منها . وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العزى وكانت الاوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين وكلهم كان معظما للعزى ولم يكونوا يرون في الحمسة الاصنام التي دفعها عمرو بن لحي وهي التي ذكرها الله تعالى في القرآن المجيد حيث قال ( ولا تذرون ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعموق ونسرا ) كرايمهم في هذه ولا قريبا من ذلك فظننت ان ذلك كان لبعدها منهم وكانت قريش تعظمها وكانت غنى وباهلة يعبدونها معهم » وروى ابن العربي بسنده عن ابن عباس ان خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى رجع الى رسول الله . وقال الحمد لله الذي أكرمنا بك يا رسول الله وأتقذنا من الهلكة لقد كنت أرى أبي يأتي العزى بخير ماله من الابل والغنم فيذبجها للعزى ويقيم عندها ثلاثا ثم ينصرف اليها مسرورا فنظرت الى مامات أبي عليه والى ذلك الرأى الذي كان يعيش في فضله حتى يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال رسول الله ان هذا الامر الى الله فمن يسره للهدى تيسر له ومن يسره للضلالة كان لها . وكان هدمها لحس ليال بقين من رمضان سنة ثمان وجاء حسان بن ثابت الانصارى الى رسول الله وهو في المسجد فقال يا رسول الله ائذن لى أقول فانى لا أقول الا حقا فقال قل فانشأ يقول

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذى فوق السموات من عل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد فقال حسان

وان ابايحي ويحيي كليهما له عمل في دينه متقبل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل  
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان  
وان أخا الاحقاف اذ يمدلونه يجاهد في ذات الاله ويمدل  
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان  
وان التي بالجزع من بطن نخلة ومن داتها فل عن الحق معزل (١)  
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد قال سفيان يعنى العزى  
عميانس (٢) - قال أبو المنذر وكان خولان صنم يقال له (عميانس)  
بارض خولان يقسمون له من أنعامهم وحرثهم قسما بينه وبين الله تعالى بزعمهم  
فما دخل في حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وما دخل في حق الصنم  
من حق الله الذي سموه له تركوه . ووهم اليممرى في عيون الاثر وابن هشام في  
سيرته فسمياه « عم انس » وقد تبعهما احمد البدوى الشنقيطى في كتابه عمود  
النسب فقال بعد ذكر خولان

أضاهم صنمهم عم أنس كانوا اذا ما الغيث عنهم احتبس  
توسلوا اليه بالدبائح فامطروا وأعظم القبائح  
ان جعلوا له ولله نصيب من ما لهم وان تغيب النصيب  
أعطى للصنم حظ الله وحظه لم يعط للاله

ومن حديث هذا الصنم أن النبي عليه السلام قال لخولان ما أعظم ما رأيتم  
من فتنته قالوا له يارسول الله لقد رأيتنا وقد استنتنا حتى أكلنا الرمة وهلكت  
ثاغيتنا وراغيتنا وحافرنا فقلنا قربوا لعميانس قرباناً يشفع لكم فتفانوا فتمعوا  
فجمعنا ما قدرنا عليه من عين مالنا ثم ذهب ذاهبنا فابتاع مائة ثور ثم حشرها  
علينا فنحرقها في غداة واحدة وتركناها للسباع ونحن أحوج إليها من  
السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا . فأى فتنة أعظم من هذه فلقد رأينا الغيث  
يوارى الرجال ويقول قائلنا أنهم علينا عميانس وسأنوه عليه السلام عما قسموا

(١) قال هشام الفل من الارض المجذبة التي لا خير فيها ولا بركة فشبها بذلك  
(٢) فى القاموس عميانس بالضم والياء المشناة تحت بعدها الف ونون صنم لخولان .

له من ما لهم فذكر لهم ان الله أنزل عليه في ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث  
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل  
الى الله . وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » وفي سيرة ابن  
هشام عن ابن اسحاق ان ذلك الصنم كان لبطن من خولان يقال لهم الاديم .  
عوض - ذكر ابن هشام ان ابن السكبي لم يذكره في كتاب الاصنام  
وقال عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل وفيه يقول رشيد بن رميض بالتصغير  
فيهما العنزي

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

حلف بالانصاب التي حول السعير وبالدماء الجارية حولها وكانوا يذبجون

للانعام ( عن البغدادي في خزائن الادب )

العوف - صنم ( عن القاموس )

غيب - انظر عجب

غمدان - بيت غمدان بناه الضحاك بمدينة صنعاء اليمن على اسم الزهرة

وخر به عثمان ذو النورين ( عن المثل والنحل للشهرستاني )

الفلس - قال أبو المنذر . وكان لطبي صنم يقال الفلاس وكان انقاً أحر في

وسط جبلهم الذي يقال له أجأ اسود كانه تمثال انسان . وكانوا يعبدونه

وبهدون اليه ويعترون عنده عتائرهم ولا يأتيه خائف الا أمن عنده ولا ينطرد

أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت له ولم تخفر حويته ( ١ ) وكانت سدنته

بنو بولان وهو الذي بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له

صيفي فاطرد ناقة خلية ( ٢ ) لامرأة من كلب من بني عليم وكانت جارة لمالك

ابن كلثوم الشمجى وكان شريفاً فالطاق بها حتى وقفها بفناء الفلاس . وخرجت

جارة مالك فاخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عربياً وأخذ رمحاً وخرج في

( ١ ) الحوية كغنية استدارة كل شيء - والمعنى ان ماصار في حرمة يتركه

( ٢ ) الخلية من معانيها الناقة التي تنتج وهي غزيرة فيجر ولدها من تحتها

فيجعل تحت أخرى وتخلي هي للحلب

أثره فأدركه وهو عند الفيلس والناقة موقوفة عند الفيلس فقال له خل سبيل ناقة جارتى . فقال انها لربك . قال : خل سبيلها فال أتخفر الهك فبوا له الرمح (١) خل عقاها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفيلس ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده اليه

يارب ان مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بنابء-كوم (٢)

وكنت قبل اليوم غير مغشوم

يخرضه عليه وعدى بن حاتم يومئذ قد عثر عنده وجلس هو وتفر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدى بن حاتم وقال انظروا ما يصيبه في يومه هذا فضت له أيام لم يصبه شئ فرفض عدى عبادته وعبادة الاصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الله بالاسلام فاسلم فكان مالك أول من أخفره فكان بعد ذلك السادن اذا أطرد طريفة أخذت منه فلم يزل الفيلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام فبعث اليه على بن أبي طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شعر الغساني ملك غسان قد اياها يقال لهما مخذم ورسوب فقدم بهما على بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم فتقلد أحدهما ثم دفعه الى على بن أبي طالب فهو سيفه الذي كان يتقلده

القليس - كنيسة بناها أبرهة الاشرم ( انظر صفحة ١٣٤ )

القيس - صنم لم يذكره ابن الكلبي وبه سعى امرؤ القيس أى رجل ذلك الصنم ولذلك كان الاصمعي يكره أن يروى قوله في معلقته - عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل - فكان يقول يا مرأ الله

كثرى - صنم لجديس وطمم كسره نهشل الربيش بن عرعة ولحق بالنبي عليه الصلاة والسلام فأسلم وكتب له كتاباً وقال عمرو بن صخر بن اشتم حلفت بكثرى حلفة غير برة لتستأبن أثواب قيس بن عازب

السكسة - صنم عبده في الجاهلية ( عن تاج العروس )

(١) بوا الرمح نحوه قابله به (٢) أخفره نقض عهده وغدره و(الناب)الناقة المسنة و(الملكوم) الشديدة

الكعبة - هي بيت الله الحرام وهو أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين بناه بالوحي الالهي ابراهيم واسماعيل قال الشهرستاني وكذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه الباني الاول على طوائف معلومة واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتمظيم له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البناء الاول كان مستندا الى الوحي على يدي أصحاب الوحي كعبة نجران . كانت ابني الحارث . قال أبو الفرج الاصفهاني انها بيعة بناها بنو عبد المदान على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة . وسموها كعبة نجران . وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاءوا الى النبي ودعاهم الى المباهلة . وقيل انها قبة من ثلاثمائة جلد لعبد المسيح بن دارس بن عدي وسمتها العرب كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . فكان اذا نزل بها مستجير اجير أو خائف أمن أو مسترفد اعطى ماطلب أو جائع شبع أو طلب حاجة قضيت وفيها يقول الاعشى يخاطب ناقته

فكعبة نجران حتم علي ك حتى تنسخي بأبوابها  
 نزور يزيد وعبد المسيح وقيساهم وخير أربابها

قال أبو المنذر « وكان ابني الحارث بن كعب كعبة بنجران يعظمونها وهي التي ذكرها الاعشى وقد زعموا انها لم تكن كعبة عبادة وانما كانت غرفة لاولئك القوم الذين ذكروهم وما أشبه ذلك عندي بان يكون كذلك لاني لا أسمع بنى الحارث تسموا بها في شعر وكان لا ياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة في الظهر وهي التي ذكرها الاسود بن يعفر (١) وقد سمعت ان هذا البيت لم يكن بيت عبادة انما كان منزلاً شريفاً فذكره »

كعب وامراته - صنمان لم يذكرهما ابن الكلبي كانا في كنيسة القليس وكان كعب خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً وكانت امرأته

(١) قول الاسود بن يعفر المشار اليه هو

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

خشبة من الساج مثلها في الطول وكانوا يتبركون بهما في الجاهلية  
اللات - صخرة بالطائف اتخذ العرب عليها بيتا قال أبو المنذر وهي أحدث  
من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السويق وكان سدنتها  
من ثقيف بنو عتاب (١) بن مالك وكانوا قد بنوا أممهم - بناء وكانت قريش  
وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت  
في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم وهي التي ذكرها الله في القرآن  
فقال ( افرايم اللات والعزى ) وفيها يقول عمرو بن الجعيد

فانى وتركى وصل كأس لكالدى تبرأ من لات وكان يدينها  
وقال السهيلي « ان عمرو بن لحي هو اللات الذى يلت السويق للحجيج  
على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذى يلت كان من ثقيف  
فلما مات قال لهم عمرو انه لم يميت ولكن دخل في الصخرة ثم أمرهم بمبادتها  
وأن يبنوا عليها بيتا يسمي اللات . ودام أمره وأمر ولده على هذا بمكة  
ثلاثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء واتخذنا يعبد »  
وحكى ابن العربي من حديث أبي الوليد بسنده عن ابن عباس قال : « ان رجلا  
ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحجاج اذا مر يلت  
سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فلما فقده الناس قال لهم عمرو ان  
ربكم اللات قد دخل في جوف الصخرة . وكانت العزى ثلاث شجرات نخيل  
وكان أول من دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم عمرو  
ان ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتى بالعزى لحرتهامة فبنوا على صخرته  
بيتا يعبده أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى  
ويطوفون حوله ويسموناه الربة يضاؤون به بيت الله الحرام بمكة ولهدمه خبر  
مفصل وهو انه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله بعد فتح مكة لاصلاح  
لتيقنهم الاطاعة لهم بقتاله وهم بضعة عشر رجلا من أشرفهم فيهم كنانة  
وعبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وصاحب أمرهم فعرض عليهم النبي الاسلام

(١) جعل ابن اسحاق سدنتها بنى معتب

فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نفترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام .  
قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رهوس أموالكم . قالوا فالخمر  
فانها عصير أرضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلا عليهم بذلك كله  
قرآنا قالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها . قال اهدمناها . قالوا هيهات لو تعلم  
الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب ويحك يا عبدي ليل ما  
أحمقك انما الربة حجر قالوا انا لم نأتك يا ابن الخطاب ثم قالوا يارسول الله تول  
أنت هدمها فاما نحن فلانهدمها أبداً . فقال سأبعث من يكفيكم هدمها فرجعوا  
الى بلادهم وبعث رسول الله سرية منهم أبو سفيان بن حرب ومنهم المغيرة  
ابن شعبه وأمر عليهم خالد بن الوليد فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها  
وأنكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من  
الحجال وهم لا يرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فاخذ المغيرة بن شعبه  
فأساً كبيرة وقال لاصحابه لاضحككنكم من ثقيف قالوا بلى فضرب بالمعول  
ضربة ثم صاح وخر مغشياً على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سرورا بان  
اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان  
استطعت ألم تعلم انها تهلك من عادها . من شاء منكم فليقترب وليجد على  
هدمها فوالله لا تستطاع ابدا . فوثب المغيرة يضحك منهم ويقول والله يامعشر  
ثقيف ما قصدت الا الهزء بكم انما هي لكع حجارة ومدبر ثم ضرب الباب  
فكسره ثم علوا سورها فما زالوا يهدمونها حتى سووها بالارض . وجعل  
صاحب المفاتيح يقول ليفضين الاساس فليخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك  
المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها خفروه حتى أخرجوا تراها وحرقتها  
بالنار ثم أخذوا حايها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله فقسمه من  
يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وروى ان المغيرة لما قام  
يهدمها قام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب . وخرج نساء  
ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع (١) لم يحسنوا المصاع (٢)

وفي اللات يقول كعب بن مالك الانصارى من قصيدة

وتنسى اللات والعزى وودا ونسلبها القلائد والشنوقا

ويقول شداد بن عارض الجشمى ينهى ثقيقا عن العود اليها

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس يفتنصر

ان التي حرقت بالدار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

المحرق - صنم لبكر بن وائل كان بسلمان ( عن تاج العروس )

المدان - صنم وبه سمي عبد المدان وهو أبو قبيلة ( عن تاج العروس )

مرحب - صنم كان بمحضر موت اليمن وذو مرحب ربيعة بن معديكرب

كان سادته اى حافظه ( عن تاج العروس )

مناة - صنم من أصنامهم قدم به عمرو بن لحي من البلقاء من أرض

الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة . قال أبو المنذر . ان العرب دانت للاصنام

وانخذوها فكان أقدمها كلها مناة وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان

منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . وكانت

العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله . وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة

ومكة وما قارب من المراضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له . وكان أولاد

معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ولم

يكن أحد أشد اعظاماً له من الاوس والخزرج ومناة هي التي ذكرها الله

تعالى في قوله ومناة الثالثة الاخرى (٣) وكانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش

(١) اى اسلمها اللثام (٢) فى رواية اذ كر هوا المصاع - والمصاع القتال

(٣) قال السهيلي مناة وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان

الدماء كانت تمنى عنده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وجعلها ثلاثة اللات

والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التي كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من

قومه فهما مناتان واحداهما غير الاخرى بالاضافة الى صاحبتهما

وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا (١) اليها فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبي صلى الله عليه وسلم . وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهدهما اسم أحدهما مخزم والآخر رسوب وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره فقال

مظاهر سر بالي حديد عليهما عقيلا سيوف مخزم ورسوب  
فوهبهما لعلى . فيقال ان ذا الفقار سيف على أحدهما . ويقال ان عليا وجدتهما في الفلج صنم لطبيء حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمه وكانت الاوس والخزرج يخصصونها دون غيرها بالزيارة والهدية «

وروى ابن العربي عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد وغسان يحجونها ويعظمونها . فاذا طافوا بالببيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين

مناف - صنم به سمي عبد مناف قال أبو المنذر ولا أدري أين كان ولا من نصبه

منهب - صنم ذكره الجاحظ في الترييع والتدوير

نائلة - صنم ( انظر أساف )

نسر - صنم قال أبو المنذر واجابت عمرو بن لحي حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معد يكرب نسرا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم أسمع حمير سميت به أحدا ولم أسمع له ذكرا في أشعارها وأشعار العرب وأظن ذلك كان لا انتقال حمير عن عبادة الاصنام الى اليهودية «

(١) في قول آخر ان النبي بعث لهدمها أبا سفيان بن حرب فهدمها وذكر

القولان ابن هشام

( وأقول ) ذكره في الشعر عمرو بن عبد الجن الجاهلي فقال

أما والدماء المائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عند ما  
نصّر - صنم ( عن المخصص )

صنم - صنم عبده مزينه وبه سمت عبدهم وكان سادنه خزاعي بن عبد  
نهم من مزينة فلما سمع ببعثة رسول الله شرح الله صدره للإسلام فكسر  
صنمه وانشأ يقول

ذهبت الى نهم لا ذبيح عنده عتيرة نسك كالذي كنت أفعل  
فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا إله أبكم ليس يعقل  
أبيت فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل  
ثم لحق بالنبي فأسلم وضمن اسلام قومه مزينة

هبل - كان من أعظم الاصنام عند قريش وكان من عميق أحمر على صورة  
الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فحملوا له بدأ من ذهب . وكان  
أول من نصبه خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هبل خزيمه  
ذكر ذلك أبو المنذر وحكى ابن هشام أن هبل قدم به عمرو بن لحي من مأرب  
فنصبه في مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه واختلف في موضعه فاشهر ستاني  
ذهب الى انه كان على ظهر الكعبة . وابن اسحاق ذهب الى انه كان عند البئر  
التي كانت في جوف الكعبة على يمين من دخلها . وكان عمقها ثلاث أذرع حفرها  
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدى الى الكعبة . وكانت  
تسمى الاخسف . وكان قدامه سبعة أقدح يضربونها عنده اذا اختصموا في  
أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً فخرج عملوا به وانتهوا اليه

ود - صنم عبده كلب بدومة الجندل قال أبو المنذر « ان عمرو بن لحي أتى  
شط جده فاستثار الاصنام ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب  
الى عبادتها فأتاه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن  
كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع اليه  
وداً فحمله الى وادي القرى فأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول

من سمي به ثم سمت الغرب به بعد وجعل غوف ابنه عامرا الذي يقال له عام.  
الاجدار سادنا له فلم يزل بنوه يسدونونه حتى جاء الله بالاسلام. قال الكلبي  
حدثني مالك بن حارثة الاجداري انه رأى ودا قال وكان أبي يبعثني بالبن اليه  
فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذاذا وكان  
رسول الله يفت خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه فحلت بينه وبين هدمه  
بنو عبد ود وبنو عامر الاجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره قال الكلبي  
فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودا حتى كافي أنظر اليه قال كان تمثال رجل  
كاعظم ما يكون من الرجال قد ذبر عليه (١) حاتان متزر بحلة ومرتد بأخرى  
عليه سيف قد تقلده وقد تمكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة (٢)  
فيها نبل ه وفي ود يقول الشاعر

حياك ود فانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد عرما

ودع - صنم (عن المخصص)

ياليل - وزن هابيل صنم سمت العرب به عبد ياليل (عن تاج العروس)

اليعسوب - كان لجديلة طيبي صنم فأخذته منهم بنو أسد فاتخذوا بعده

اليعسوب صنما عبدوه فلذلك قال عبيد

فتبدلوا اليعسوب بعد الههم صنما فقرروا يا جديل وأعدبوا

أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا

يعوق - صنم قال أبو المنذر (وأجابت عمرو بن لحي همدان فدفع الى مالك

ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق

فاتخذته خيوان فكان بقرية يقال لها خيوان (٣) من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة

تعبد همدان ومن والاها من أرض اليمن ولم أسمع همدان سمت به ولا غيرها

من العرب ولم أسمع لها أو لغيرها فيه شعرا وأظن ذلك لانهم قربوا من صنعاء

واختلطوا بحمير فدأوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه )

(١) رواية زبر أى نقش (٢) الوفضة الجمبة (٣) خيوان بطن من همدان

كافي ابن هشام

أقول قد ذكره في الشعر مالك بن نمط الهمداني في قوله :  
 يرش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يرش (١)  
 ينفوث - صنم - قال أبو المندر اتخذته مذحج وأهل جرش وفيه يقول الشاعر  
 وسار بنا ينفوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح  
 ودفعه عمرو بن لحي الى أنعم بن عمرو المرادي فكان بأكمة باليمن يقال لها  
 مذحج تعبده مذحج ومن والاها

### \* كثرة الاصنام \*

ليس في الاستطاعة حصر أصنامهم في الجاهلية فكثرتها تتجاوز العدد .  
 وقد كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة كثير حكى الرنخشري  
 انه كان حولها ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحياهم . ولما دخل  
 رسول الله يوم فتح مكة المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة جعل  
 يطعن بسية قوسه ( ٢ ) في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل  
 ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها وارتقى على بن أبي  
 طالب على منكبه الشريف حتى صعد الكعبة فقال له عليه السلام الق صنمهم  
 الاكبر وكان من نحاس وقيل من زجاج وألقى كل ما عليها من الاصنام ولم يبق  
 الا صنم خزاعة موندأ بأوتاد من حديد فما زال يعالجه حتى تمكن منه فقذفه  
 فتكسر ثم أخرجت من المسجد فخرقت وفي تكسيرها يقول فضالة بن عمير  
 ابن الملوح الليثي (٣)

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ياأبي عليك الله والاسلام

( ) يرش ويبري من رشت السهم وبريته ثم استمير في النفع والضر  
 قال سويد

فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالي من يرش ولا يبري  
 ( ٢ ) سية القوس ما عطف من طرفها ( ٣ ) نسبها ابن الكابي في كتاب  
 الاصنام لراشد بن عبد الله السلمي

أو ما رأيت محمداً وجنوده (١) بالفتح يوم تكسر الاصنام  
لرأيت دين الله أضحي بيننا (٢) والشرك يغشى وجهه الاظلام  
وقال تميم بن أسد الخزاعي

وفي الاصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا  
وأصنامهم سفرا وحضرا تجل عن الحصر أما في الحضر فذكر ابن اسحاق  
ان أهل كل دار اتخذوا في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر  
ما يصنع في منزله أن يتمسح بصنمه واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع  
إذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لعبادة الله  
وحده قالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا شيء عجاب . وأما في السفر  
فكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها  
فاتخذها رباً وجعل الثلاثة اثنان في لقدره واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلاً آخر  
فعل مثل ذلك قال أبو المنذر « واستهترت العرب في عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً  
ومنهم من اتخذ صنماً ومن لم يقدر على اتخاذ صنم أو بناء بيت نصب حجراً اما  
من الحرم واما من غيره مما استحسنت ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها  
الانصاب وسموا طوافهم الدوار » واتخذ كثير منهم في داره صنماً وكثيراً ما  
يسميه بأسم الصنم الذي تعبده القبيلة ويتخذ على مثاله ليتمكن من عبادته  
وهو في داره حكى ابن هشام في سيرته ان عمرو بن الجموح أحد سادات بني  
سلمة وأشرفهم كان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة كما كانت  
الاشراف يصنعون تتخذها لها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بني سلمة كانوا  
يدلجون (٣) بالليل على صنمه فيحملهونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة  
وفيها عذر الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا (٤)  
على آلهتنا هذه الليلة قال تم يغدو يلتمسه حتى اذا وجدته غسله وطهره وطيبه

(١) رواية وقبيلة (٢) رواية نور الله أضحي ساطعاً (٣) أدلج سار أول  
الليل وأدلج سار آخر الليل وقيل الادلاج سير الليل كله (٤) الاصل ان معنى  
غدا عليه بكر ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان

ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لآخزيتنه فاذا أمسى ونام عمرو وغدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث القوه يوما فغسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ماترى فان كان فيك خير فاه تمتع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو وغدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بجبل ثم القوه في بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجوح فلم يجده في مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكله من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم يذكر صنمه وما أبصر من أمره

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن (١)  
 أفى لملقائك إلهاً مستدنف الآن فتشناك عن سوء الفبن (٢)  
 الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين (٣)  
 هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر صتهن

ومثله فى ترك عبادة صنمه حين رآه عاجزا عن الدفاع عن نفسه غاوى بن ظالم فقد كان يأتى صنمه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له أطعم وقيل انه كان سادنا له فجاء ثعلبان (وهو ذكر الثعلب) فأكل الخبز والزبد ثم بال على رأس الصنم فلما رأى ذلك غاوى بن ظالم تبين له الحق فقال  
 لقد خاب قوم أملاك لشدة أرادوا نزالا ان تكون تحارب  
 فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع اذا حل نائب

(١) القرن الحبلى (٢) مستدنف من السدانة وهى خدمة البيت وتمظيمه و (الفبن) يكون فى الرأى يقال فبن رأيه بمعنى خسر نفسه وأوبقها (٣) قال السهيلي الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان والكن جمعها على الدين لانها مال ونحل

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالث عليه الثعالب  
 ثم ضرب الصنم فكسره وأتى النبي فآمن وسأله عليه الصلاة والسلام  
 عن اسمه فقال غاوى بن ظالم . قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه  
 (وكانوا) لا يتخذونها من مادة معينة . قال أبو رجاء العطاردي كنا نعبد  
 الحجر في الجاهلية فاذا وجدنا حجرا أحسن منه تلقى ذلك ونأخذه فاذا لم  
 نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فخبناها عليه ثم طقنا به . وقال  
 أيضا كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر  
 الأبيض فنعبده زمانا ثم نلقيه .

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حيس فعبدوه دهرأ طويلا ثم أدركتهم  
 مجاعة فأكلوه . وفيهم يقول الشاعر

أكلت حنيفة ربهما زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهما سوء العواقب والتباعة

وقال رجل من بني تميم

أكلت ربهما حنيفة من جو ع قديم بها ومن أعواز

عبادة الاصنام وما يتقرب به لها

عبد أكثر العرب الاصنام لانداتها بل لتقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم  
 عنده روى انهم كانوا يقولون في طوافهم بالكعبة واللوات والعزى ومناة  
 الثالثة الاخرى فانهن الغرائق العلى وان شفاعتن لترجى فجمعوا عبادتها  
 وسيلة لعبادته ولما كان ذلك من الشرك انكره الله تعالى عليهم في غير ما آية من  
 كتابه كما انكر عليهم اعتقادهم انها بنات الله في قوله ( أفرايتم اللوات والعزى  
 ومناة الثالثة الاخرى الحكم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمة ضيزى ان هى الا  
 أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان ) وما أسرع تزلزل هذه  
 العقيدة عند مبدأ النظر فقد روى ان قريشا قالت فيمضوا لابي بكر رجلا  
 يأخذه فيمضوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال ياأبا بكر قم الى  
 فقال الام تدعوني قال أدعوك الى عبادة اللوات والعزى فقال أبو بكر من اللوات

والعزى قال بنات الله قال فن أمهم فسكت طلحة وقال لأصحابه أجيئوا صاحبكم فسكتوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (فكانوا) يعظمونها ويلبسونها أحسن الثياب وحلف الشنفرى بثياب الاقيصر فقال

وان امرأ اجار عمرا ورهظه على وأتواب الاقيصر يعنف  
(وكانوا) يتقربون لها بالمناسك والمشاعر وحلوا لها وحرموا وسيبوا لها السوائب والبجائر (وكانوا) يججون اليها فلذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجده عليه السلام والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان الله ضاعف أجر العبادة فيها (وكانوا) يطوفون بها تقربا اليها وشاهده قول امرى القيس يشبه قطيما من البقر يلوذ بعضه ببعض ويدور كما تدور العذارى حول الصنم دوار

فمن لنا سرب كان نماجه عذارى دوار في الملاء المذيل  
(وكانوا) يسبحون ويهللون لها قال ربيع بن صبيغ الغزاري  
واننى والذى نعم الانام له حول الاقيصر تسبيح وتهليل  
(وكانوا) يستسمون عندها بالازلام (وكانوا) يجملون لها نصيبا من انعامهم وحرورهم (وكانوا) يقفون لها الاوقاف ويهدونها أقواتهم برجون بذلك الخير والبركة \* روى نافع عن أبي نعيم قال : كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات  
(وكانوا) يسمون أنفسهم باسماء مضافة اليها بالعبودية أو الاختصاص كعبد اللات وعبد العزى وامرى القيس فغير النبي عليه الصلاة والسلام ما كان من أسماء أصحابه كذلك بعبد الله وعبد الرحمن و(كانوا) يقسمون بها فيقول الخالف واللات أو وهبل مثلا ويرون ان الحلف بها كذبا يستوجب نقصا في الاموال والانفس والثمرات فلا يقدمون على ذلك . ويستحلف الاخصام بعضهم بعضا باسمائها فنهوا عن ذلك بقوله عليه السلام من حلف بغير الله فقد أشرك  
(وكانوا) يندرون لها الندور ومنها مولى السائبة وهو ما سيب نذر اللآله

فلا يمنع من ماء ولا كلاءً وان كان رقيقاً وأعتقه مالكمه سائبة فلا يعقل عنه  
ولا يورث ولا ولاء عليه لاحد . ومن اعتق سائبة سالم مولى أبي حذيفة  
أعتقه فتيبة بنت يعار وقيل اسمها ثبيبة بنت يعار فانقطع سالم الى أبي حذيفة  
ابن عتبة بن ربيعة فتبناه فقبل سلم مولى أبي حذيفة

و ( كانوا ) يسجدون لها وينكسون رأسهم عندها قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما يقرر من يمشى الى الجلسد (١)

و ( كانوا ) يستمعون بها في حوائجهم من شفاء المريض وغنى الفقير  
وغير ذلك فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم ( اياك نعبد و اياك نستعين )  
وقال تعالى ( فلا تدعوا مع الله أحدا ) و ( كانوا ) لا يمكنون الحيض من النساء  
من الدنو منها ولا التمسح بها انما كانت الحائض تقف ناحية منها قال بلعاء بن  
قيس بن عبد الله بن يعمر وهو الشداخ اللبي

وقرن قد تركت الطير منه كعتز العوارك من مناف (٢)

و ( كانوا ) يجعلون لاصنامهم أعيادا وروينا حديث أم أيمن في ذلك  
عند ذكر الصم بوانة و ( كانوا ) يهدون لها الهدايا ويقربون لها الفرائين  
فمنها ( الفرع ) وفسره الشافعي بأنه أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه  
لاحد رجاء البركة في الام وكثرة نسلها وفسره أبو علي القالى بأنه ذبيح كان  
أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقياً آخر وفي المحكم  
الفرع أول نتاج الابل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لاصنامهم ثم يأكلونه  
ويلقى جلده على الشجرو عن أبي مالك انه البكر ينجره الرجل للصنم اذا بلغت  
إبله مائة ويقال انه ذبح كانوا اذا بلغت الابل ما تمناه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا  
بلغت ابله مائة يعتر منها بعير كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطلق  
الفرع أيضا على الطعام الذى يصنع لنتاج الابل كالتخرس للولادة وقال الميداني  
في مجمع الامثال عند قولهم في المثل ( أول الصيد فرع ) فانصه الفرع أول

(١) البيقرة أن يمدو الرجل منكسا رأسه و ( الجلسد ) صنم (٢) المعتز

المتنحى في ناحية - و ( مناف ) صنم

ولقد تفتحه الناقة كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول  
إذا نمت ابلى كذا نحرت أول نتيح منها و( كانوا ) إذا أرادوا نحره زينوه  
وألبدوه ولذلك قال أوس بن حجر يذكر أزمة في شدة البرد

وشبه الهيدب العباب من الاقوام سقياً مجللاً قرعاً (١)

وأفرع القوم إذا ذبحوا الفرع يقال أفرع إذا أراق الدم مأخوذ من الفرع  
ومنه قولهم للضبيح اذ وقعت في الغنم

أفرعت في قرارى كأنما ضرارى أردت يا جمار (٢)

ومنها ( العتيرة ) بوزن عظيمة وهي كما قال أبو عبيد . ذبيحة كانوا يذبحونها  
في الجاهلية في رجب يتقربون بها لاصنامهم وهي الرجبية . ولغيره انهم كانوا  
ينذرون من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها في رجب عتيرة . وفي  
الصحاح العتيرة هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترت  
منها عتيرة في رجب ونقل أبو داود تقييدها بالعثرة الاول من رجب . وروى  
الحميدى انها الشاة التي تذبح عن أهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو  
العترة . وفسرها النووى بأنها ذبيحة كانوا يذبحونها في العشر الاول من رجب  
ويسمونها الرجبية وفيها يقول الالبانة الجمدي وكان من المعمرين

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الاوثان

وقد أبطلت الشريعة المطهرة كلا من الفرع والعتيرة لقوله عليه السلام  
في الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة وهذا النهى محمول على ما اذا كان  
ذبحهما لطواغيتهم وآلهتهم كما كانوا يصنعون في الجاهلية أما اذا لم يقصد  
بذبحهما غير وجه الله تعالى فلا حظر فيه وعليه يحمل ما رواه البيهقي بسنده  
عن الحارث بن عمر قال أتيت النبي بعرفات أو قال بمنى وسأله رجل عن العتيرة  
فقال من شاء عتر ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع ولسكنهم  
نہوا عن تخصيص ذبح العتيرة في رجب لحديث ان رجلاً نادى رسول الله

(١) الهيدب النمي الثقيل و( العباب ) النمي الثقيل و( السقب ) الذكر

من ولد الناقة ساعة يولد (٢) القرار الغنم و( جمار ) كقطام الضبيح

انا كنا نعتز عتيرة في الجاهلية فما تأمرنا قال اذبحوا لله في أى شهر كان لما  
 في التخصيص من تفضيل بعض الاوقات على بعض وتميزها بالعبادة من غير  
 نص من الشارع كما نهوا عن تخصيص ذبح الفرع أول ما يولد لان رسول الله لما  
 سئل عن الفرع قال الفرع حق وأن تركوه حتى يكون بكرا أو ابن مخاض  
 أو ابن لبون (١) فتعطيه ارملة أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تذبحه  
 فيلزق لحمه بوبره (٢) وتكفيء اناهك (٣) وتوله ناقتك (٤) ومنه تعلم ان  
 الفرع كان يصلح عندهم للنسك ولو ذبح صغيرا أما غيره فلا يصلح لذلك  
 الا اذا ذبح كبيرا وشاهده قول أبي علي القالى في أماليه ( الحلان والحلام  
 فويق الجدى وأنشد لابن اهر

تهدى اليه ذراع الجدى تكرمه اما ذبيحا واما كان حلانا  
 فالذي يصلح للنسك والحلان الصغير الذى لا يصلح للنسك ثم قال  
 وانشدنا أبو عبيدة قول مهلهل

كل قتيل في كليب حلام حتى ينال القتل آل همام  
 يقول كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن  
 يذبح للنسك حتى ينال القتل آل همام فانهم وفاء به «

(و كانوا) يذبحون قربانهم عند الاصنام اذا كانوا بمقربة منها وحينئذ  
 يلطخونها بدمائها ياتمسون بذلك الزيادة في أموالهم ودفع المنكره عنهم  
 وشاهده قول زهير بن أبى سلمى

فزله عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتردى رأسه النسك (٥)

(١) البكر الفتى من الابل والائى بكرة (وا ابن المخاض) الفضيل اذا  
 لقحت أمه وقيل مادخل في السنة الثانية لان أمه لحقت بالمخاض أى الحوامل  
 وان لم تكن حاملوا (ابن الالبون) ولد الناقة اذا كان في العام الثانى واستكملته  
 وقيل اذا دخل في الثالث والائى ابنة لبون لان أمه وضعت غيره (٢) يريد  
 انه لا شبع فيه (٣) يشير به الى ذهاب اللبن لان ذهاب ولدها يدفع لبنها  
 فكانه اذا فمل ذلك كفاً اناه وأراقه (٤) يعنى تفجعها بولدها (٥) معنى البيت

وقد هجا شاعرهم رجلا فشبّه برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها  
فلا تصلح الا للذبح والنسك فقال

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الادم أهداها أمرؤ من بني غنم  
رأى قدعا في عينها اذ يسوقها الى غناب العزى فوسع في القسم (١)  
وكذلك كانوا يصنعون اذا انحروا هديا قسموه فيمن حضرهم و ( كانوا )  
يهلون بأسمائها عند الذبح فيقولون باسم اللات أو العزى مثلا وغلوا في ذلك  
حتى قالت كفار قريش ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما ذبحتم لغيره فكلوه  
فحرم الله ذلك واعتبر ذبيحتهم نجسة يحرم أكلها بقوله ( ولا تأكلوا مما لم  
يذكر اسم الله عليه وانه لنفسق ) ( ٢ ) وتبعت نصارى العرب كفار قريش في  
تعمد ترك اسم الله تعالى عند الذبح ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن ذبيحة  
نصارى العرب على أن من العرب من فتح الله بصيرته فعلم سوء صنيعهم هذا  
من هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل وكان ممن اعتزل عبادة الاوثان وحرّم أكل  
ذبائح المشركين ومن قوله في ذلك ( يامعشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت  
بقل الارض ويخلق الساعة فترعى فتذبحونها لغير الله )

ومن أنواع قرابينهم في الجاهلية البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وورد  
ذكر الثلاثة الاخيرة في قول الشاعر

حول الوصائل في شريف حقة والحاميات ظهورها والسيب (٣)

زل الصقر عن القطة وأشرف على رأس (سرقبة) وهي المكان المرتفع حيث  
يرقب الرقيب وقوله ( كمنصب العتر ) أى كأن الصقر مما به من الدم الحجر  
الذى يعتر عليه وهو نصب و( العتر ) ذبح كان يذبح في رجب ( ١ ) القدح  
ضعف البصر من ادمان النظر و( الغناب ) المنجر مهراق الدماء ( ٢ ) فسر النفسق  
بترك التسمية عمدا لقوله تعالى أوفسق أهل لغير الله به ( ٣ ) حول جمع حائل  
ويقال في جمعها أيضا حوال والحائل كل أنثى لا تحمل و( الشريف ) اسم موضع  
واذا طعنت الابل في الرابعة فهي حق وحقة و( وصائل ) ووصل جمع وصيلة  
و( سيب ) وسوائب جمع سائبة - وفي نسخة حول الفصائل

وتتميز كل واحدة منها عما عداها بعلامة كما قال الجاحظ « وقد أعلم العرب  
البحيرة بغير علم السائبة لتمييز عنها واعلموا الخامى بغير علم الفحول وكذلك  
الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة »  
ولنبين معانيها فنقول ، أما البحيرة فهي فعيلة بمعنى مفعولة من البحر  
وهو الشق جمعها بحائر وبحر . وفسرها الزجاج بأن أهل الجاهلية كانوا اذا نتجت  
الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنوا وحرموا نحرها وركوبها ولا تطرد  
من ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقبها الممي لم يركبها وفسرها ابن اسحاق بأنها  
بنت السائبة (١) وتلقبها ابن هشام بأنها عند العرب ليست كذلك بل البحيرة  
عندهم الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف  
ولا يتصدق به وتهمل لآلهتهم

وقال الكلبي كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فكان الخامس ذكرا أكله  
الرجال دون النساء وان كان أنثى بحروا أذنوا وشقوها وتركها لا يشرب لها لبن  
ولا يركب قبل ولا يجز لها وبر ولا يحمل عليها شيء ولا يذكر اسم الله عليها  
ان ذكيت وتكون ألبانها للرجال دون النساء وان كانت ميتة اشترك فيها  
الرجال والنساء . وقيل البحيرة الناقة التي ولدت خمسة أو سبعة وقيل بل عشرة  
أبطن وتترك هملا واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة وقيل هي في الشاة خاصة  
اذا نتجت خمسة أبطن بحرت . وعن ابن المسيب انها التي منع لبنها للطواغيت  
فلا تحلب . وقيل هي السقب الذي اذا ولد شقوا أذنه وقالوا اللهم ان عاش ففتى  
وان مات فذكى فاذا مات أكلوه . وقيل التي تترك في المرعى بلا راع

أما السائبة فهي فاعلة من سيبته أي تركته وأهملته فهو سائب وهي سائبة  
قال ابن اسحاق هي الناقة اذا تابعت بين عمر أنثى ليس بينهن ذكر سبيت  
فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فا نتجت بعد ذلك  
من أنثى شقت أذنها ثم خلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها  
ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة وتلقبها

(١) من معانيها في القاموس انها ابنة السائبة وحكمها حكم أمها

ابن هشام بأن السائبة عند العرب هي التي ينذر الرجل أن يسيبها ان يرى من مرضه أو ان أصاب امرا يطلبه فاذا كان ذلك اسباب ناقة من ابله أو جلا لبعض آلهتهم فسابت فرغت لا ينتفع بها وعن أبي عبيدة كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجته دابته من مشقة أو حرب . قال هي سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً (١) وكانت لاتنعم من ماء ولا كلاً ولا تركب وكان هذا نذرا من نذورهم وقيل هي البعير الذي يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب وقيل ماترك ليحج عليه وعن ابن عباس وابن مسعود انها التي تسيب للاصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم والسائبة أيضا العبد يعتق على ألا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

وأما الوصيلة فهي فعيلة بمعنى فاعلة على الاظهر وقيل بمعنى مفعولة وفسرها ابن اسحاق بانها الشاة اذا اتأمت عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناتهم (٢) الا ان يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم واناتهم . وتعقبه ابن هشام بان الوصيلة عند العرب هي التي تلدانها اثنتين في كل بطن فيجعل صاحبهما لأهته الا اناث منها ولنفسه الذكور فتلدها (٣) أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع بهما

وقال الفراء هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين (٤) عناقين واذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الام الا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة . وعن ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة أبطن فان

(١) نقل القلقشندي في صبح الاعشى سببا آخر لاغلاق الظهر اذ قال

كان الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة عمد الى البعير الذي كملت به المائة فاغلاق ظهره بأن ينزع شيئا من فقراته ويعقر سنمه كي لا يركب ليعلم ان ابل صاحبه قد أمأت (٢) يروي فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنينهم دون اناتهم (٣) أي الاثني (٤) العناق كسحاب الاثني من اولاد المعز جمع اعناق وعنوق

كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشئ الا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فترك معه ويتنفع بها الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها . قال ابن قتيبة ان كان السابع ذكرا ذبح وأكلوا منه دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وان كان انثى تركت في الغنم وان ذكرا وانثى فيكقول ابن عباس

وقال الزجاج هي الغاة اذا ولدت ذكرا كان لآلهتهم واذا ولدت انثى كانت لهم واذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها أى دفعت عنه الذبح فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . وقيل هي الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة . فان كان جديا ذبحوه وان كان انثى أبقوها . وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها وقيل الوصيلة من الابل هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينهما وقيل أنها الناقة التي تبكر فتلد أنثى ثم تنثى بولادة أنثى أخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لآلهتهم ويقولون قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر

وأما الحامى فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه . فقال ابن اسحاق انه الفحل اذا نتج له عشر أنثى متتابعات ليس بينهما ذكر حتى ظهره . فلم يركب ظهره ولم يمز وبره وخلى في ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقيل هو الفحل ينتج له سبع أنثى متواليات فيحمى ظهره . وقال الشافعى انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين وقال الفراء هو الفحل اذا نتج ولد ولده فيقولون حمى ظهره فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى . وقال أبو عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وروى هذا القول عن ابن عباس وابن مسعود

وكانوا يزرون أن الضرورة تبيح المحظور وشاهده ما رواه المفضل الضبي أن جبيلة بن عبد الله أخا بنى قريش بن عوف أغار على ابل جرية بن أوس بن عامر يوم سلوق فاطرد ابله غير ناقة كانت مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى أبله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا

بالابل غير تلك الناقة الحرام فقال جرية للغلام رد على تلك الناقة لاركبها  
في أثر القوم فقال الغلام انها حرام فقال جرية «حرامه يركب من لاحتلال له»  
فجرت مثلاً لمن اضطر الى ما يكرهه

واختلاف أئمة اللغة والمفسرين في معناها يرجع لاختلاف القبائل في ذلك  
فنقل بعضهم عن قبيلة معنى يخالف ما نقله غيره عن قبيلة أخرى وبهذا تعلم أن  
لا وجه لابن هشام في تعقبه ابن اسحاق ويؤيد ما ذهبنا اليه مارواه أبو هريرة  
ان النبي عليه السلام قال ان عمرو بن لحي بن قمة بن خندف أول من غير دين  
اسماعيل وبحر البهيرة وسبب السائبة وحى الحامى وما رواه زيد بن أسلم أن  
رسول الله قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدليج كانت له ناقتان  
فخدع آذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما  
فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيت في النار يؤذى أهل النار ريح  
قصبه فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة أن أول من  
بحر البهيرة عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة من القحطانية (١) وأخبر في حديث  
زيد بن أسلم أن أول من بحرها رجل من مدليج وهم بطن من كنانة بن  
خزيمة بن مدركة من العدنانية وأوليتهما انما هي بالنسبة لمن اتبعهما  
فيما ابتدعا فلا ينافى أولية غيرهما فاختلف المعنى لاختلاف الواضعين وقد  
أبطل الشارع ذلك وحرمه لقوله تعالى ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة  
ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب  
وأكثرهم لا يعقلون ) وقوله ( وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا  
من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها  
افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة  
لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء (٢) سيجزيهم

(١) قال القاضي عياض المعروف في نسب خزاعة انه عمرو بن لحي  
ابن قمة بن الياس بن مضر وعليه فهو من العدنانية وان لم يكن من بني مدليج  
(٢) الحجر الحرام كانوا لا يطعمون ما حرموا من الحرث والانعام الا من